سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى
عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الثانية | العدد (64) | 9 / 12 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

لوحة الغلاف للفنان: علي الراوي

الهلال الأحمر والصليب الأحمر في سوريا

أوضاع كارثية، اعتقالات المتطوعين، وسرقة المساعدات

النظام السوري يعتقل قائد فرق الإسعاف في الهلال الأحمر في دمشق!

في ظروف قاسية وأوضاع كارثية يعمل متطوعو الهلال الأحمر السوري، يتعرضون فيها للقنص والقتل والاعتقال والتعذيب، الكثير من الشباب المتطوعون في الهلال الأحمر لأعمال الإغاثة والمساعدات الإنسانية والطبية يعانون من النظام شأنهم شأن بقية الشعب السوري، الذي لا يأبه كونهم يعملون في المجال الإنساني.

فقد قامت قوات النظام السوري باعتقال مسؤول كبير في الهلال الأحمر السوري من مقر عمله في دمشق.

وأفادت مصادر المجلس الوطني السوري أن عضو مجلس إدارة الهلال الأحمر السوري - فرع دمشق وقائد فرق الإسعاف محمد رائد الطويل (36 عاما) اعتقل بتاريخ 2012/11/8 من مقر الهلال الأحمر في حي أبو رمانة.

وكتبت الناشطة والمدونة رزان غزاوي على مدونتها بالانكليزية، أن الطويل الذي يعمل مع الهلال الأحمر منذ أكثر من 18 عاما، متزوج وله ابن واحد. وقالت غزاوي أن الطويل "مصاب في ظهره (...) وفي حاجة إلى الأدوية والعلاجات الدائمة".

ويشار إلى أن النظام السوري يستهدف باستمرار الطواقم الطبية والمشافي التي تعالج جرحى الثورة السورية، وفي نفس الوقت يتعرض من يصل من المصابين إلى المشافي العامة لخطر التصفية وسوء المعاملة.

وقد استشهد عدد كبير من الأطباء والمسعفين نتيجة القصف المتعمد للمراكز الطبية وسيارات الإسعاف، كما يقبع عدد منهم أيضاً في غياهب السجون والمعتقلات بسبب معالجتهم الجرحى، وقضى بعضهم تحت التعذيب وتم تسليمهم جثثا هامدة تحمل آثار تعذيب وحشي. وأكدت منظمة العفو الدولية أن هذه الاستهداف يندرج في إطار "الجرائم ضد الإنسانية".

الصليب الأحمر يعلن عجزه عن مواجهة تفاقم الوضع الإنساني في سوريا

في وقت سابق أعلن رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر بيتر ماورر أن المنظمة عاجزة عن مواجهة تفاقم الوضع الإنساني في سوريا.

وقال ماورر في مؤتمر صحافي "لا يمكننا تطوير عملياتنا بسرعة كافية لمواجهة تفاقم الوضع الإنساني في سوريا".

وأضاف أن "هناك العديد من النقاط التي لا تصل إليها أي مساعدة ولا علم لنا بالوضع فيها ولا بعدد الناس المعنيين"، معترفا في الوقت نفسه بتحقيق تقدم خلال الأشهر الأخيرة في عمل الصليب الأحمر.

وتابع أن "المعارك تتطور ما يؤدي إلى مزيد من الجرحى ومزيد من الأوضاع المتأزمة"، مشيرا إلى أن دخول مناطق عديدة ما زال مستحيلا والمعلومات عن الوضع فيها قليلة جدا.

وأوضح أن المنظمة الدولية تمكنت من تسهيل وصول مساعدات إلى سوريا منذ الصيف وإدخال شاحنات لنقلها وبلوغ مناطق كان لا يمكن الدخول إليها مثل اثنين من أحياء حمص، لكنه أشار إلى أن المنظمة لا تستطيع الدخول إلى حلب مثلا.

وقال ماورر أن اللجنة الدولية ما زالت تجري مفاوضات مع سلطات الأسد لتتمكن من زيارة معتقلين مجددا.

النظام السوري يستولي على المساعدات الإغاثية والطبية التي ترسلها المنظمات الدولية!

وأكد اتحاد المنظمات الطبية الاغاثية السورية النظام السوري بسرقة القسم الأكبر من المساعدات الدولية المرسلة إلى الهلال الأحمر السوري ليخصصها لجنوده وشبيحته.

وقال توفيق شمة المتحدث باسم الاتحاد أن "90 أو حتى 95٪ من كل ما يتم إرساله إلى مقر الهلال الأحمر السوري في دمشق يذهب لدعم النظام السوري خاصة الجنود والشبيحة".

وأضاف في تصريح للصحفيين في جنيف أن تلك المساعدات "لن تصل إلى المدنيين الذين يتعرضون للقصف اليومي أو المحاصرين". وأكد أن الأموال والمواد التي يتم إرسالها إلى الهلال الأحمر "يصادرها النظام" السوري.

وأكد شمّة: "عندما يهاجم النظام واحدة من منشآتنا الطبية سواء كان مستشفى أو غيره يحملون كل ما يمكنهم حمله ويحرقون ما تبقى". وأضاف في مؤتمر صحفي في جنيف: "إنهم يأخذون ما يمكنهم أن يأخذوه ويعتمد ذلك على عدد الجنود معهم، لكنهم في معظم الحالات يعيدون بيعه في السوق السوداء".

ويقدر عدد الأشخاص داخل سوريا الذين يحتاجون إلى مساعدات إنسانية طارئة بنحو 1، 2 مليون شخص، طبقا للأمم المتحدة، مع اقتراب الثورة من دخول شهرها العشرين بعد أن بلغ عدد الشهداء قرابة 40 ألف شهيد.

ودعا الشمة، العضو المؤسس للاتحاد الذي يضم مجموعة من 14 منظمة مساعدة من دول عدة من بينها فرنسا وسويسرا وتركيا والولايات المتحدة، المنظمات الإنسانية الأكبر إلى ضمان وصول المساعدات إلى المحتاجين السوريين.

وقال أن قافلة من 11 شاحنة من برنامج الأغذية العالمي الذي يقوم الهلال الأحمر بتوزيع مساعداته بشكل أساسي، اختفت بعد عبورها إلى شمال سوريا من تركيا وأنها شوهدت آخر مرة في مخازن الهلال الأحمر السوري.

غير أن المتحدثة باسم البرنامج إليزابيث بايرز قالت "اعتقد انه ليست هناك أية مصادرة مطلقا". وأضافت أن "مراقبي توزيع المساعدات الغذائية التي يقدمها البرنامج استطاعوا زيارة معظم المناطق للتأكد من وصول الأغذية إلى السكان الذين هم في اشد الحاجة إليها. حتى أنهم دخلوا إلى بعض المناطق الخطرة باستخدام عربات البرنامج المصفحة". وقالت أن الهلال الأحمر "بوصفه منسقا للمساعدات الإنسانية في البلاد، يعمل من خلال فروع بشكل مستقل".

كما نفى الصليب الأحمر تلك الاتهامات. وصرحت المتحدثة باسمه اناستازيا ايسيوك لوكالة فرانس برس عبر البريد الالكتروني: "عندما يتم التثبت بشكل واضح من مثل هذه المعلومات، وهو ما لم ينطبق على هذه المزاعم،

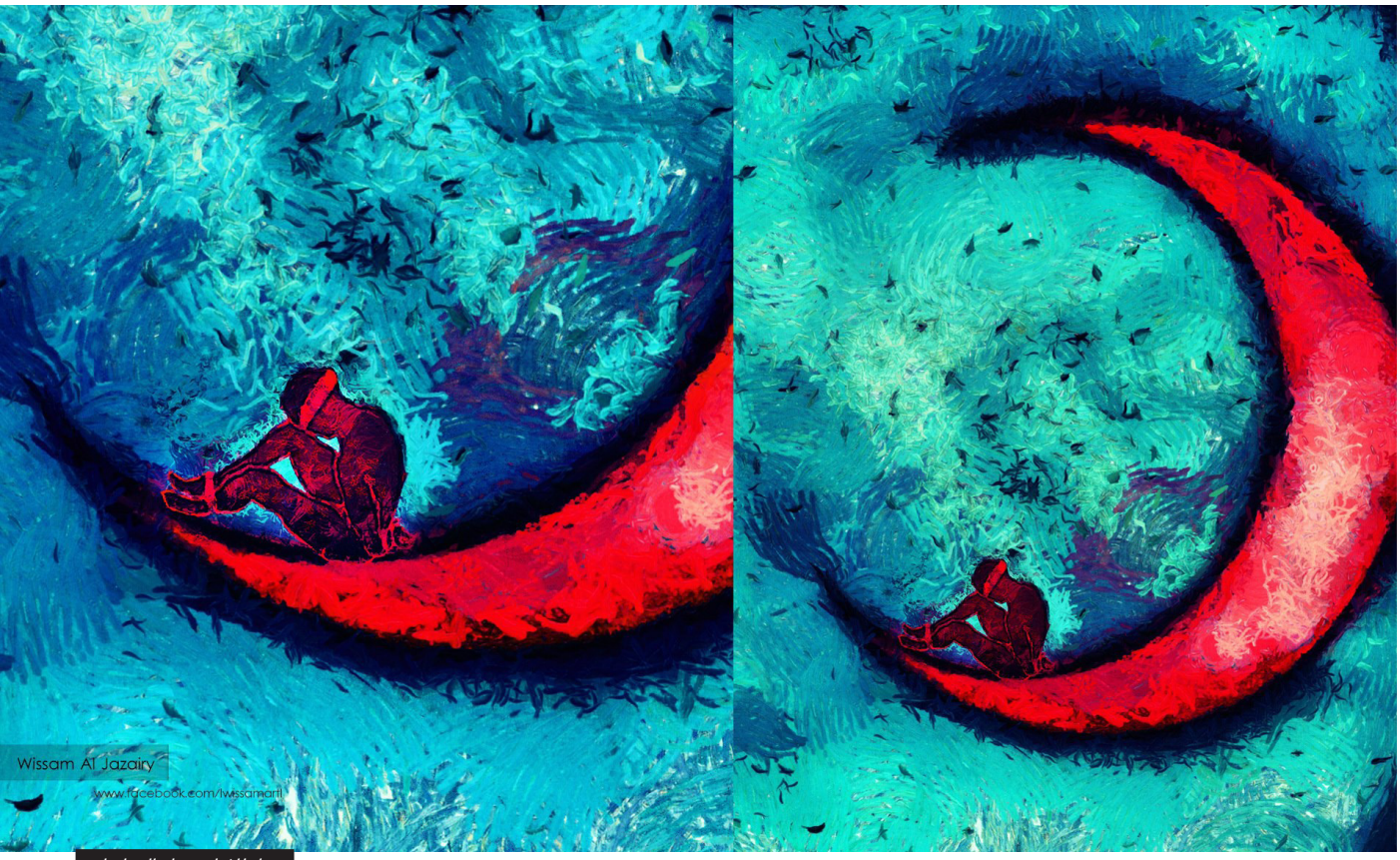

عمل للفنان وسام الجزايرلي

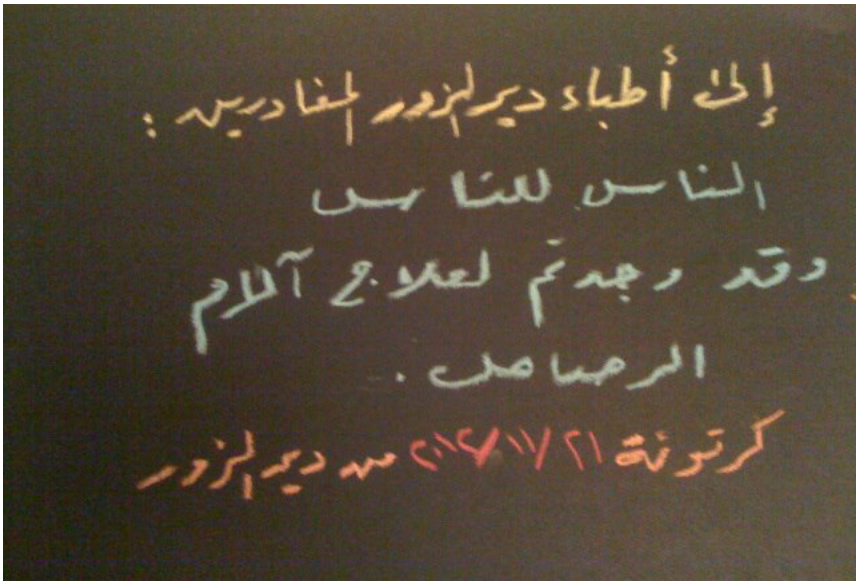

فإننا نتعامل معها بجدية كبيرة ونتحدث مباشرة مع إدارة الهلال الأحمر السوري والسلطات السورية".

وقالت أن الصليب الأحمر والهلال الأحمر السوري "يسعيان إلى مساعدة جميع السكان المحتاجين دون أي تمييز، وهذه مهمة صعبة نظراً للوضع الإنساني المتدهور والظروف الأمنية".

وأشارت إلى أن المنظمتين تمكنتا مؤخرا من توزيع مساعدات طبية وغذائية على نحو 1200 شخص في البلدة القديمة في حمص، وقامتا منذ بداية العام بتوفير الغذاء والماء وغيره من المساعدات على أكثر من مليون شخص في أنحاء سوريا.

إلا أن شمة قال أن الاتحاد، الذي أقام نحو 30 مستشفى ميدانيا في أنحاء سوريا ويحاول إنشاء 30 مستشفى آخر، يعتقد أن البلاد تتجه نحو "كارثة" إنسانية. وأضاف انه مقابل كل شخص قتل منذ بداية الثورة في آذار من العام الماضي، يوجد أربعة إلى ستة جرحى. ويضطر شمّة للعمل سرا تفادياً لاستهدافه.

وقال انه إضافة إلى المتضررين مباشرة من القتال، فإن العديد من الناس يموتون "بصمت" ليس من الرصاص أو التفجيرات، ولكن من نقص الأدوية وعدم الحصول على علاج لأمراض مثل السرطان والسكري أو من الولادات القيصرية.

ولفت إلى أن المساعدات المسروقة إلى جانب مواد أخرى كأجهزة كهربائية مسروقة من المنازل المهجورة تباع في السوق السوداء في البلدات الأهداً نسبيا في سوريا.

وأضاف أن المستشفيات العامة لا تعالج سوى أنصار النظام وشبيحته، مما يدع الآخرين ممن لا يؤيدونه في مواجهة الانتفاضة على حكمه لمصيرهم.

وقال أن الحكومة تعترض كميات كبيرة من المساعدات، لأن العديد من المانحين يصرون على التعامل من خلال منظمات "معروفة" بدلا من منظمات سرية مثل اتحاد المنظمات الطبية الاغاثية السورية الذي تتلقى تمويلا من حكومات أوروبية من بينها سويسرا.

وكمثال على المساعدات المفقودة قال شمة أن ما بين 90 و95 مجموعة مساعدات أرسلت إلى مركز الهلال الأحمر العربي السوري في دمشق لكنها استخدمت لصالح السلطات والجنود السوريين.

وكان الاتحاد تأسس في بداية العام على أيدي أطباء سوريون يعيشون خارج بلادهم.

وقالت اناستاسيا اسبوك المتحدثة باسم اللجنة الدولية للصليب الأحمر في جنيف عن تصريحات شمة "متى تأكدت أي حقائق كهذه وهذا ليس الحال هذه المرة فإننا نعاملها بمنتهى الجدية ونتصدى لها مباشرة مع إدارة الهلال الأحمر العربي السوري والسلطات السورية".

وقالت: "برنامج الأغذية العالمي لم يكن أبداً ولن يكون أداة في أيدي أي حكومة. برنامج الأغذية العالمي يواصل تقديم المساعدات الغذائية لكل السوريين المحتاجين ونحن على يقين أنها تذهب إلى الأيدي الصحيحة". وأضافت أن الهلال الأحمر – المنظمة المتطوعة بتوزيع المساعدات التي يقدمها برنامج الأغذية العالمي – تعمل بشكل محايد للوصول إلى المحتاجين بغض النظر عن أي جزء من المجتمع يمثلونه.

وقال الصليب الأحمر: "لا يمكن فعل شيء إلا عبر الهلال الأحمر السوري، لكن حوارنا المستمر في العامين الأخيرين سمح لنا بتوضيح ماهية العمل المحايد في المجهود الإنساني". وأضاف: "انه تحد يومي في ما يتعلق بحيادية واستقلالية العمل الإنساني لكن اليوم يمكننا التحرك بمزيد من الاستقلالية".

كما شدد رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر بيتر ماورر على تعقيد الأوضاع وتغيرها على الأرض. وقال: "قد يكون الهلال الأحمر في دمشق أكثر تقرباً من الحكومة، وفي أماكن أخرى أكثر قرباً من حاجات السكان". فالحوار الذي بدأ قبل عامين "أجاز إنشاء أجواء من الثقة وفي بعض الأماكن قد نتحرك وحدنا من دون مرافقة ممثل للهلال الأحمر السوري" على ما أكد، مضيفاً: "ما من أمر مثالي".

الأمم المتحدة: أربعة ملايين سوري سيحتاجون للمساعدة في مطلع ٢٠١٣

وفي سياق متصل أعلن مدير مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية في الأمم المتحدة جون غينغ أن عدد الأشخاص الذين سيحتاجون للمساعدة الإنسانية داخل سوريا يتوقع أن يرتفع إلى أكثر من أربعة ملايين في مطلع العام المقبل.

وقال غينغ للصحفيين في جنيف: "في مطلع السنة الجديدة... نتوقع أن يرتفع عدد الأشخاص الذي سيحتاجون (لمساعدة إنسانية) من 2، 5 مليون إلى أكثر من أربعة ملايين... وسيواصل هذا العدد الارتفاع بسبب المعاناة الإنسانية".

وتشير تقديرات الأمم المتحدة إلى أن العدد الإجمالي للاجئين في البلدان الأربعة المجاورة لسوريا، تركيا ولبنان والأردن والعراق، قد يرتفع إلى 700 ألف عام 2013. وبحسب حصيلة جديدة أعلنتها الجمعة المفوضية العليا للاجئين في الأمم المتحدة فإن عدد هؤلاء يبلغ حاليا 408 آلاف لاجئ.

وأشار غينغ الذي كان يتحدث للصحفيين في ختام المنتدى الإنساني السادس حول سوريا في جنيف إلى أن هذه الأرقام "ليست أسوأ السيناريوهات"، مضيفاً: "لكنه سيناريو مروع يجب أن يكون مصدر إلهام وتحفيز" للسياسيين لمضاعفة جهودهم من اجل إنهاء الوضع في سوريا.

وفي خلال أربع وعشرين ساعة خلال الأسبوع الماضي، لجأ حوالي 11 ألف سوري إلى البلدان المجاورة، في عدد يفوق بكثير المتوسط الإجمالي اليومي لأعداد اللاجئين السوريين الفارين من بلادهم والبالغ 2000 شخص، بحسب المفوضية العليا للاجئين.

أوجاع وطن

الوضع تجاوز مرحلة التدريب يا معارضتنا السورية

■ بشار عبود

رغم أشهر الحراك الطويلة إلا أن المتابع للثورة السورية، يرى أنه لا شيئ تبدل حيال الأزمة لا من حيث طريقة معالجتها، ولا من حيث نتائجها رغم أنه مضى عليها أكثر من 21 شهراً.

فإن كنا نعي تماماً سلوك النظام الرافض لأي علاج سوى باستثناء الأمني منها، (وهو الذي لا يعرف غيره على أية حال)، مستنداً إلى حديثه الممجوج عن مؤامرة كونية تطال دولة الممانعة، من خلال إرسال عصابات مسلحة تخرب البلد، إلا أننا في الوقت نفسه، لا نعرف بأي حال من الأحوال سبب عجز المعارضة عن بلورة مواقفها وسر خطابها الكئيب والسلحفاتي في تسريع إنهاء الأزمة والانتقال إلى دولة ديمقراطية حرة، كما لم نفهم إلى الآن لماذا لم تخرج عن مقارعة النظام بذات اللغة التي جرّها إليها.

كنا نبرر في بدايات الثورة عدم وجود خبرة في التعاطي بالشأن السياسي، نظرا لما ارتكبه النظام من تفريغ للطاقات السياسية والاجتماعية في سوريا طيلة أكثر من أربعة عقود، لكن بأي وجه حق سنبرر لها هذا العجز وعدم القدرة على التحرك الإيجابي والقادر على تخليص البلد من أزمته الدموية بعد قرابة عامين على اندلاع الثورة.

ألا تكفي سنتين من التدريب على الحراك السياسي والوطني؟ هذا السؤال يطرحه جميع السوريين بلا استثناء، إذ لم يعد يخفى عليهم هبوط المعارضين السوريين وتحديداً من هم خارج سوريا، إلى مستوى اللامسؤولية الأخلاقية والوطنية على حد سواء، فأصبح همّ المعارضة بتشكيلاتها التي تنمو كالفطر، محصورة بتبرئة ذاتها من المسؤولية التاريخية الملقاة على عاتقها والتي وضعت نفسها فيه.

وبعيداً عن التخوين وعقلية المؤامرة الشهيرة، فإننا نقول بمنتهى الوضوح والشفافية، لهؤلاء المتنطحين لتسيّد الثورة السورية، أن جميع تشكيلاتكم التي تعقدونها في فنادق الخمسة نجوم، بدءاً من المجلس الوطني مرورا بجميع التحالفات والملتقيات والمنابر وصولاً إلى الإئتلاف الوطني السوري أن تنظروا إلى تلك التشكيلات على أنها تشكيلات طارئة ومؤقتة ولدت في ظروف استثنائية وستنتهي بزوالها ولن تبقى على ما هي عليه في مستقبل ما بعد سقوط النظام الحالي.

وهذا يدعو جميع السوريين بلا استثناء إلى تغيير لغتهم وشعاراتهم تجاه الثورة السورية، والتوجه نحو الهدف الأسمى ليس فقط في تحديد إسقاط النظام كأولوية أولى دون غيرها، وإنما المضي وبالتزامن مع هذا الهدف في بناء المجتمع المدني والمؤسسات التي عاث بها الفساد طويلاً، ما يعني ضرورة إعطاء الفرصة للنقابيين في إعادة هيكلة بنائها وتخليصها من كم الفساد الهائل الذي غرقت وما تزال تغرق فيه كل يوم، لأنه من دون إعادة تفعيل هذه المؤسسات، فإنه لن يتمكن الشعب السوري من تحمل مسؤولياته تجاه وطنه ولن يتمكن اختيار من يمثله فعلاً ويحمل تطلّعاته.

المطلب الملح اليوم هو البدء جدياً، وبمشاركة دولية، في تأليف حكومة انتقالية كاملة الصلاحيات تكون قادرة على فرض رأيها على الجميع سياسيين وعسكريين على حد سواء، وتنظيف الجيش الحر مما لحق فيه من تصرفات غير أخلاقية وغير مسؤولة، والعمل مباشرة على إطلاق حملة شعبية ودولية واسعة لإعادة مهجّري الداخل والخارج وإطلاق سراح جميع المعتقلين وإجراء الإصلاحات السياسية المطلوبة لبناء نظام جديد قائم على العدالة يضمن المصالح الضيقة لجميع فئات الشعب وأطيافه، دون إغفال محاكمة من تلطخت يداه بالدم طيلة فترة حكم آل الأسد.

هروب الأموال السورية إلى الخارج

باتت الأموال التي حولها رجال أعمال سوريون هاربون من نظام بشار الأسد إلى مصر حائرة بين الاستثمار في العقارات أو البورصة أو القطاع الصناعي، في حين فضل سوريون المشروعات الصغيرة والمتوسطة وتجارة التجزئة كمجال لاستثمار أموالهم التي فلتوا بها من النظام السوري.

وقال خليل العجيلي، وهو ناشط سياسي سوري مقيم في مصر إن أكبر 10 رجال أعمال في سوريا وصلوا إلى مصر خلال الأيام الماضية، ولكن من الصعب الكشف عنهم.

أضاف أن معظم من ينتمون إلى الطبقة البرجوازية في سوريا فضلوا اللجوء إلى مصر، مؤكداً أن عشرات الملايين من الدولارات وصلت من سوريا إلى مصر ولكن لا يمكن حصرها بدقة.

وقال إن ثلث الاقتصاد السوري انتقل إلى مصر بعد الثورة في سوريا، لكن لا يوجد مصادر محايدة تؤكد هذه الأرقام أو تنفها، مضيفاً أن كبار رجال الأعمال السوريين فضلوا الاستثمار في البورصة أو إيداع أموالهم بالبنوك المصرية لحين وضوح الرؤية وضخها في استثمارات.

وتقدر الاستثمارات السورية داخل مصر بما يتراوح بين 400 - 500 مليون دولار، في حين يقدرها آخرون بأكثر من ذلك، خاصة أن السوريين باتوا يتعاملون بغزارة مع البنوك المصرية من حيث الإيداعات وفتح الحسابات.

وقال نزار الخراط، رجل أعمال سوري ورئيس اللجنة التنسيقية للثورة السورية في مصر ورئيس مؤسسة البيت الدمشقي إن هناك عددا كبيرا من رجال الأعمال والمستثمرين السوريين الذين جاؤوا إلى مصر بعد اشتداد قصف الجيش النظامي السوري لهم ولمصانعهم وأعمالهم.

وأوضح الخراط أنه يتم حاليا تأسيس تكتل اقتصادي يجمع بين رجال الأعمال السوريين في مصر وهم أغلبهم من حلب.

وقال باسل الكويفي، مستثمر سوري بمصر ورئيس الغرفة التجارية السابق بدمشق وعضو المجلس الانتقالي السوري إن أعداد رجال الأعمال السوريين والمستثمرين الذين قدموا إلى مصر تضاعف خلال الثلاث أشهر الأخيرة.

أضاف أن معظم المستثمرين السوريين بالقاهرة اتجهوا لافتتاح مشروعات صغيرة ومتوسطة ليضعوا فيها أموالهم التي جاؤوا بها من بلدهم، مقدراً عدد رجال الأعمال السوريين الذين وصلوا إلى مصر بـ30٪ من أعداد رجال الأعمال الذين فروا من سوريا والبالغ عددهم حوالي 50 ألف مستثمر.

وأضاف الكويفي أن كبار المستثمرين السوريين اتجهوا إلى الاستثمار في البورصة المصرية وبعض دول الخليج وأوروبا، موضحاً أن المستثمر السوري يفضل اللجوء إلى مصر لسهولة إجراءات الدخول والخروج منها وسهولة الحصول على إقامة، بالإضافة إلى توافر الأيدي العاملة الرخيصة والطاقة.

وأشار إلى أن معظم المستثمرين السوريين الذين وصلوا إلى القاهرة من الطبقة المتوسطة والممتازة أيضا، وأن هناك عددا المليارديرات السوريين اتجهوا إلى دول مجاورة وخاصة التابعين لنظام الأسد.

وأضاف الكويفي أن هناك عددا كبيرا من السوريين أقاموا مشروعات جديدة في مصر مثل المطاعم والمقاهي وورش الخياطة والصناعات النسيجية، كما أقبل عدد من اللاجئين السوريين على فتح حسابات لهم بالبنوك المصرية لإيداع الأموال التي انتقلوا بها من بلدهم أو استقبال حوالات من حساباتهم من بنوك خارج سوريا.

وقال خلدون الموقع رئيس مجلس الأعمال السوري المصري في تصريحات صحافية منذ أيام إن مجموعة من رجال الأعمال السوريين، بدأوا ضخ استثمارات جديدة في السوق المصرية تتجاوز 500 مليون دولار في مجالات الغزل والنسيج والملابس الجاهزة والخيوط والأقمشة في العديد من المدن الصناعية المصرية.

وأكد أحمد غنام عضو غرفة الصناعة بدمشق والقيادي السوري اللاجئ في مصر أن هناك أعدادا كبيرة من السوريين وصلوا إلى مصر مع زيادة قصف قوات الأسد لهم.

وأوضح غنام أن السوريين في مصر يتركزون في مدينة 6 أكتوبر غرب القاهرة والرحاب شرق القاهرة، خاصة من ذوي الملاءة المالية والطبقة المتوسطة ويتواجد الحرفيون منهم في منطقة عين شمس خاصة الذين يعملون في القطاعات النسيجية.

وقال إن هناك عددا من السوريين أقام مشروعات غذائية في منطقتي المهندسين و6 أكتوبر وتتكلف هذه المشروعات ما بين 500 - 600 ألف جنيه.

وأكد غنام أن المستثمرين من رجال الأعمال الكبار اتجهوا للاستثمار في البورصة المصرية لحين استقرار أوضاع الاقتصاد الكلي.

وأشار إلى صعوبة تحويل الأموال من داخل البنوك السورية إلى الخارج بسبب منع السلطات النقدية ذلك، لذا فإن معظم الأموال جاءت إلى مصر إما تم نقلها نقدا أو عن طريق تحويلات خاصة من البنوك اللبنانية.

ومن جانب آخر أكد عدد كبير من مديري الفروع بالبنوك المصرية عن زيادة كبيرة في حسابات السوريين سواء بمبالغ ضخمة أو متوسطة سواء عن طريق إيداعها أو استقبالها في حساباتهم عن طريق حوالات من الخارج.

وقال عبد العزيز الصعيدي، مدير عام فرع بنك الشركة المصرفية العربية الدولية إن معظم البنوك رصدت تزايدا في حسابات السوريين بالبنوك المصرية.

وأوضح أن هناك تسهيلات من جانب البنوك في فتح حسابات للاجئين السوريين، حيث لا يشترط البنك أوراق الإقامة لفتح حساب للسوري المقيم في مصر.

وأضاف الصعيدي أن معظم الأموال يتم إيداعها نقداً أو استقبالها عن طريق حوالات من بنوك خارجية مثل بنوك لبنان والسعودية.

وكشفت الأرقام الصادرة عن هيئة الاستثمار السورية تراجع عدد المشاريع القائمة في سوريا في الفترة من أول يناير 2012 حتى نهاية سبتمبر من نفس العام بنسبة 74٪، مقارنة بالفترة نفسها من العام 2011 نتيجة الأحداث التي تمرّ بها سوريا والعقوبات الاقتصادية المفروضة على مجمل قطاعاتها.

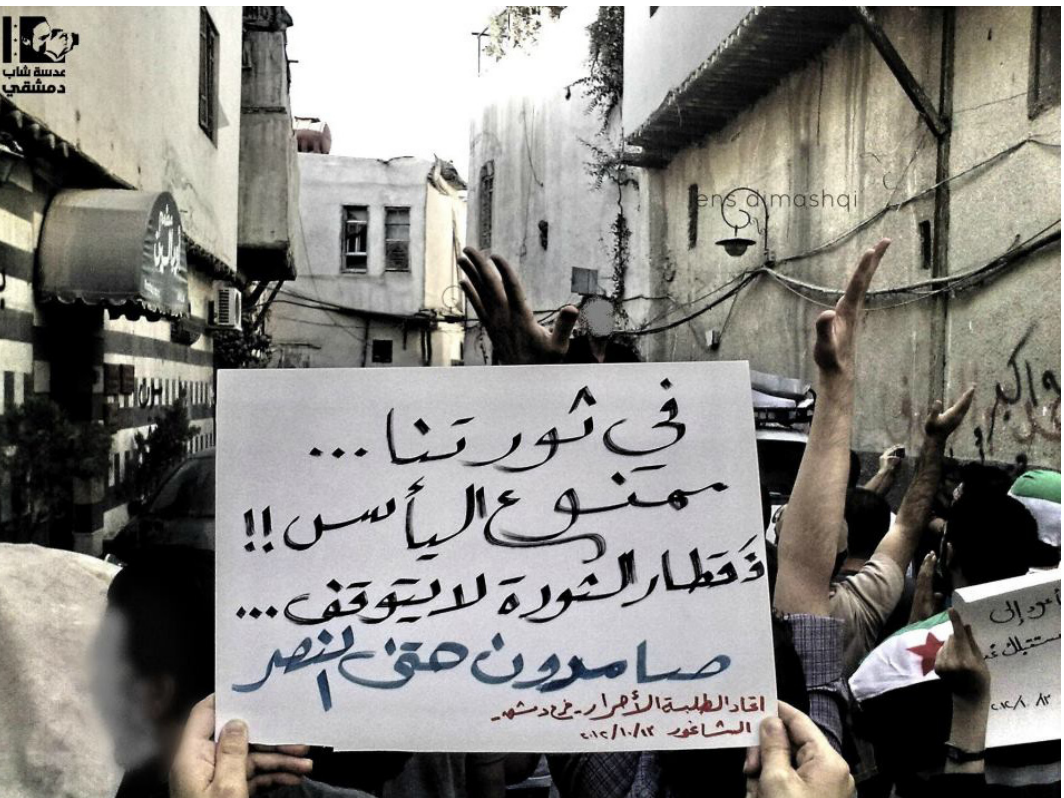

العفو الدولية وهيومن رايتس ووتش تطالبان المعارضة بوقف "انتهاكات" مقاتلي الجيش الحر

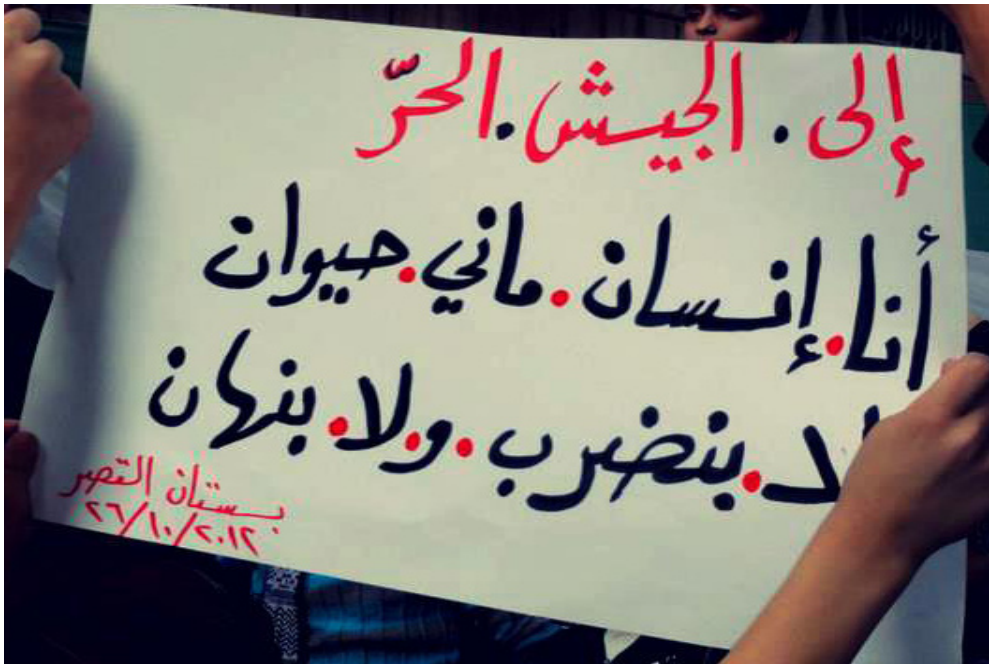

طالبت منظمتا العفو الدولية وهيومن رايتس ووتش المعنيتان بالدفاع عن حقوق الانسان الثلاثاء ائتلاف المعارضة السورية بأن تضع على رأس أولوياتها وقف "الانتهاكات" التي يرتكبها بعض مقاتليها.

وذكرت منظمة هيومن رايتس ووتش التي تتخذ من نيويورك مقراً لها الثلاثاء إنه يتعين على جبهة المعارضة السورية الجديدة: "أن ترسل رسالة واضحة لمقاتلي المعارضة بأن عليهم الالتزام بقوانين الحرب والقانون الدولي لحقوق الإنسان، مع محاسبة المسؤولين عن الانتهاكات".

وأضافت في بيان إنه "على الدول الممولة لجماعات المعارضة أو التي تمدها بالأسلحة أن ترسل رسالة قوية إلى المعارضة بأنها تتوقع منها أن تلتزم تمام الالتزام بالقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني".

وقالت سارة ليا ويتسن، المديرة التنفيذية لقسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في هيومن رايتس ووتش "يجب أن يكون إنهاء انتهاكات عناصر المعارضة المسلحة من أولويات الإئتلاف الجديد. ولا بد أن يتعهد الائتلاف علناً بحماية المعايير الدولية وبمراجعة قيام الجماعات المسلحة بأية انتهاكات قبل منحها الأسلحة، وبمحاسبة المتسببين في الانتهاكات" حسب قولها.

ووثقت هيومن رايتس ووتش أكثر من 12 عملية إعدام "خارج نطاق القضاء وبإجراءات موجزة دون مراعاة الإجراءات القانونية السليمة على يد قوات المعارضة، وكذلك أعمال تعذيب ومعاملة سيئة في منشآت اعتقال تديرها المعارضة" بحسب البيان.

وأكدت المنظمة الحقوقية على ضرورة "معاملة جميع المحتجزين من طرف الجيش السوري الحر وغيره من قوى المعارضة - بمن فيهم أفراد قوات الأمن السوري والشبيحة – معاملة إنسانية بما يتفق مع القانون الدولي الإنساني ومعايير حقوق الإنسان".

وأضافت ويتسن: "لا بد أن يوضح ائتلاف المعارضة الجديد أن عنده رؤية لسوريا مستعدة لطي صفحة انتهاكات المسلحين".

بدورها شددت منظمة العفو الدولية التي تتخذ من لندن مقرا لها على ضرورة ان "يقوم الائتلاف الجديد المعارض "بمراقبة ومنع الانتهاكات التي تمارسها بعض جماعات المعارضة مخالفة بذلك حقوق الإنسان".

وطالبت المنظمة في بيان منفصل الثلاثاء ائتلاف المعارضة الجديد "بوضع آليات لمراقبة طريقة تصرف الجماعات المسلحة المعارضة لتجنب أي ملاحقة تتعلق بجرائم الحرب والانتهاكات".

وأضافت: "على المقاتلين في جميع الأطراف معرفة أنهم لا يمكنهم الإفلات من العقاب بحجة الامتثال للأوامر وأن الحساب سيطالهم على أفعالهم".

جائزة "الشعب يريد" في مهرجان الكاميرا العربية في روتردام للمخرج السوري الراحل باسل شحادة

منح مهرجان "الكاميرا العربية" في دورته الأولى التي اختتمت مساء الأحد الماضي جائزة "الشعب يريد" لفيلم "هدية صباح السبت" للمخرج السينمائي السوري باسل شحادة الذي في قصف لقوات النظام السوري خلال قياه بالتصوير في حمص.

وقالت لجنة تحكيم المهرجان الذي استمر من 28 تشرين الأول إلى الثاني من كانون الأول "أن البعد السينمائي القوي في فيلم شحادة هو الذي أهله أن يحصل على هذه الجائزة".

ويروي الفيلم قصة طفل سوري كان يستمتع بأيام العطلة لكنه بات يكره يوم السبت بعدما أصيب بيته في يوم سبت قاضيا على أحلامه.

وتفوق الفيلم السوري على ثلاثة أفلام أخرى في المراحل الأخيرة وهي "بون الحرية- شوارع الموت" للمخرجين المصريين أحمد صلاح سوني ورمضان صلاح والسوريان "اللجاة: أيام مع الجيش السوري الحر" و"آخر ذكريات على الحاجز" للسينمائي السوري تامر العوام الذي استشهد أيضاً خلال في أيلول الماضي.

وباسل شحادة مخرج سوري شاب من مواليد عام 1984 استشهد في أيار 2012 مع زميله المصور أحمد الأصم: خلال توثيقه للأحداث في سورية. وقد قام بالعديد من الدورات التدريبية لما يسمى بالفيلم التوثيقي الشعبي. وهو كان قد بدء دراسة الإخراج السينمائي في الولايات المتحدة بعد حصوله على منحة، لكنه قطع دراسته أواخر عام 2011 وعاد إلى سورية التي كان قد غادرها إثر الإفراج عنه بعد اعتقاله على خلفية مشاركته في مظاهرة المثقفين في حي الميدان في دمشق.

وبعد مقتله منعت قوات النظام السوري أصدقاء باسل من التوجه للصلاة عليه في الكنيسة كما حاصرت منزله في دمشق.

هذا آخر الكلام..

هكذا يمضي الأسد يومه

■ ياسر مرزوق

اليوم أعلنت معاجم العربية استسلامها وعجزها عن تقديم تعريف أو وصف للمشهد السوري الذي لم يعد بأي حال يُنتمي للعبث بل تعداه إلى مشهدٍ يعجز " كافكا " أو أشد الكتاب عبثيةً عن وصفه. رأس النظام الذي خرج علينا بنظريةٍ جديدة في علم السياسة، أطلقها في خطابه أمام مجلس الشعب، في حزيران عام 2012 وهي أن يختار الرئيس شعبه، لا أن يختار الشعب الرئيس، يطبق هذه النظرية وكل من لم يقع عليه الاختيار محكوم بالموت.

وكان قد قال في خطابه المذكور: " إن البعض يطرح في نفس هذا الإطار ومن بداية الأزمة أن الرئيس يجب أن يكون لكل الشعب وأنا أقول كي أكون دقيقا إن الرئيس هو لكل من يقف تحت سقف الوطن والدستور والقانون وإلا ساويت بين العميل والوطني وبين الضحية والجلاد وبين الفاسد والشريف وبين من يخرب ومن يبني وبالتالي في هذه الرمادية الوطنية مخالفة للدستور ونكث بالقسم وضرر بالمصلحة العامة وخيانة للأمانة الوطنية.

وأضاف أما لمن يبحث عن رئيس من دون لون أو طعم أو رائحة لبلد هو الأغنى بالألوان والأكثر استساغة للعيش فيه والأزكى رائحة بعبق تاريخه فأقول لهم.. إن لوني من لون هذا الشعب الذي فيه من أطياف السيادة والمقاومة والكرامة والمحبة وأما كل طيف آخر من أطياف الإرهاب والطائفية والأشياء الأخرى التي رأيناها مؤخراً فهي أطياف غريبة لا تنتمي إلينا ومصيرها سيكون الاضمحلال والزوال ".

وبعد أن اصطفى شعبه، تفرغ لخيارين لا ثالث لهما، أولهما مواصلة السيطرة على كل سورية، وثانيهما تحطيم البلد وتركه لأهله ينشغلون عقوداً بإعادة إعماره، من الواضح أنه ماض في الخيار الثاني. وهو مستمر فقط لاستكمال مسلسل التدمير المنهجي، فحتى الذين اعتقدوا أنه يريد توظيف «معركة دمشق» في تحسين موقعه التفاوضي لاحقاً لا يرون في نهجه العبثي ما يمكن أن يكون مجدياً في ما يدّعي تمثيله أو لمن يدّعي الدفاع عنهم، فبالنسبة إلى السوريين لم تعد هناك دولة، يتساوى في ذلك أن يكونوا موالين أو معارضين.

فهو خطط للمذبحة الكبرى ويريد أن يذهب إليها ظانّاً أنها ستكون رادعاً مستقبلياً وبالتالي ضماناً للكيان الطائفي الذاتي الذي يعتبره حداً أدنى وحلاً أخيراً. وفي هذا السياق يمكن أن يوافق على اقتراح الأخضر الإبراهيمي إرسال «قوات دولية لحفظ السلام» لكن بعد المذبحة، وبعد أن يتوّج وحشيته باستخدام غاز السارين ضد معارضيه من أبناء الشعب.

فقد كشفت مصادر عراقية كردية أن الاستخبارات الأميركية رصدت قيام الأسد بسحب جميع الضباط السنة من مخازن الأسلحة الكيميائية والمطارات العسكرية، التي تضم مئات الطائرات المقاتلة، ووضع كل هذه المواقع تحت سيطرة كاملة لقوات موالية من الطائفة العلوية، لأنه يدرك أن بقاء القوة الجوية والسلاح الكيميائي تحت سيطرته يعني بقاءه في السلطة وأن معركة إسقاطه ستطول.

كما نقل موقع " بيكتا " الالكتروني الإسرائيلي عن مصدر أميركي، أن سورية تحتفظ بمخزونها من هذه الأسلحة شمال غرب دمشق داخل قاعدة «السفيرة» التابعة للحرس الجمهوري السوري، والتي تتلقى أوامرها حصرياً من بشار الأسد مباشرة، مستدركاً: لكن إذا شاهد قادة هذه القاعدة انهيار النظام في دمشق، كما حدث تقريباً يوم 18 تموز في أعقاب الانفجار داخل مقر الأمن القومي، فيمكن هؤلاء القادة أن يقرروا الفرار إلى لبنان مصطحبين معهم أسلحتهم الكيماوية كضمانة لهم ولمستقبلهم، وفي هذه الحالة، لا يمكننا معرفة ماذا يمكن هؤلاء القادة أن يقرروا في كيفية استخدامهم الأسلحة التي يحرسونها.

ألم نبدأ ملفنا اليوم بالحديث عن العبث الذي بلغ ذروته في تعامل النظام مع الترسانة الكيماوية، فنصفه لقتل المدنيين والنصف الآخر معروضٌ للبيع، حيث نقلت جريدة " الجمهورية اللبنانية " أنه في الوقت الذي كشفت فيه المعلومات الإستخبارية أن وزير الدفاع الأميركي بانيتا كان أوّل من صرح بتحريك سوريا سلاحها الكيماوي لإعادة تموضعه دون تحديد وجهته، فإن تلك المصادر تميط اللثام عن تجميع هذا السلاح في هضبة الجولان تحت مرمى المواقع الإسرائيلية وتضيف المصادر أن إسرائيل كانت كما يبدو قد أخطرت بهذه الخطوة السورية، وقابلتها بعكس ما قد يتبادر إلى الأذهان فمن يريد استعمال هذا السلاح لا يضعه في مرمى "عدوّه"، ما يعني عمليا إخراجه من معادلة الصراع، سواء مع الخارج أو في الداخل. وهذه الحقيقة باتت معلومة ومفهومة من قبل كل من واشنطن وتل أبيب.

و تروي " الجريدة " عن المصادر الإستخبارية الغربية بأن تجارا إسرائيليين ينشطون في دول القوقاز في ما كان يُعرف بالاتحاد السوفيتي السابق، وخصوصا تلك التي تجاور إيران، بدأوا في تقديم عروض لشراء المخزون السوري من هذا السلاح الكيماوي، عبر شركات إيرانية تعمل في تلك الدول القوقازية. وتضيف تلك المصادر أنّ المساومة بين الأطراف المعنية جارية على قدم وساق، بعدما تلقى هؤلاء عرضاً مباشراً من وسطاء على علاقة بالنظام السوري، لبيع هذا السلاح بسبب حاجة نظام الأسد إلى العملة الأجنبية.

ويشير هؤلاء إلى أن خزينة الدولة السورية وصلت إلى حافة الخواء، مع بلوغ الضغط الاقتصادي والعقوبات والحصار الدولي المفروض على سوريا إلى ذروته، وتراجع المساعدات النقدية الإيرانية بشكل شديد، في ظل الصعوبات المماثلة التي تتعرض لها طهران أيضاً، وتعتقد تلك المصادر أن صفقة سرية يجري استكمال بنودها بين الطرفين عبر وسطاء إيرانيين، وتتم متابعتها من الدوائر الغربية بشكل حثيث لمعرفة مآلها.

ويستكمل النظام السوري العبث فبعد أنباءٍ عن انشقاق المتحدث باسم الخارجية السورية "جهاد مقدسي "، خرج علينا النظام بقرار إقالته على خلفية تصريحاته السابقة التي أقرّت بامتلاك سوريا للسلاح الكيميائي، علماً أنها من الدول الموقعة على بروتوكول جنيف لعام 1925 الذي يحظر استخدام هذه الأسلحة.

وانبرت صفحات الموالين على الشبكة العنكبوتية بكيل الاتهامات والشتائم لمقدسي الخائن، والذي كان حتى يوم خلا وبحسب تعبيرهم " الدبلوماسي المقاوم "، كان آخرها اتهام الصحفي السوري المقرب من النظام، أحمد الحاج علي، في مقابلة مع تلفزيون "الجزيرة، " إن المقدسي ضبط وهو يسرق من سوق ببريطانيا عندما كان على رأس عمله في السفارة السورية بلندن، حيث تم الإفراج عنه من قبل الشرطة البريطانية بعد الاطلاع على هويته الدبلوماسية، الأمر الذي تبعه طلب بريطاني بإعفائه من منصبه.

وفي معرض رد وزير المغتربين " فيصل المقداد " على تحذيرات وزيرة الخارجية الأمريكية، هيلاري كلينتون، للنظام السوري من مغبة استخدام السلاح الكيماوي ضد الحراك الذي يهدف إلى الإطاحة بالأسد، قال إن بلاده أوضحت أكثر من مرة لواشنطن بشكل مباشر أو عبر موسكو بأنها لن تلجأ إلى هذا الأسلحة ضد شعبها، مقراً بوجودها أيضاً، مكرراً الخطيئة عينها التي وبحسب إعلام النظام أطاحت بمقدسي.

وبعيداً عن العبث، داخلياً يستمر الثوار في صياغة ملحمتهم، ويتنفس السوريون بشائر الحرية، وخارجياً قال المتحدث باسم وزارة الخارجية الأميركية "مارك تونر" في معرض رده على سؤال بخصوص ما إذا كانت الإدارة ترى أن اللحظة باتت ملائمة للاعتراف بالائتلاف السوري الجديد لقوى المعارضة، كممثل شرعي ووحيد لسورية والتهيئة لحكومة في المنفى تعترف بها واشنطن وتدعمها سياسيا وعسكريا ودبلوماسيا إلى جانب دعمها الإنساني للتسريع بالإطاحة بالنظام السوري "إن الائتلاف يظهر تماسكاً ومسؤولية واضحة، ويتخذ الخطوات الإيجابية كأحد الممثلين

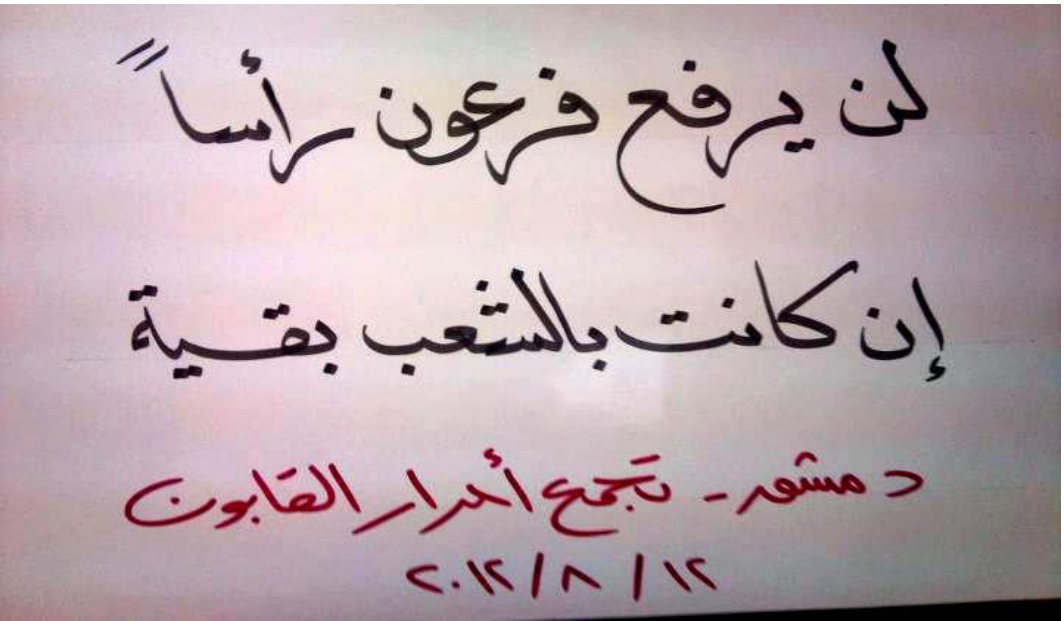

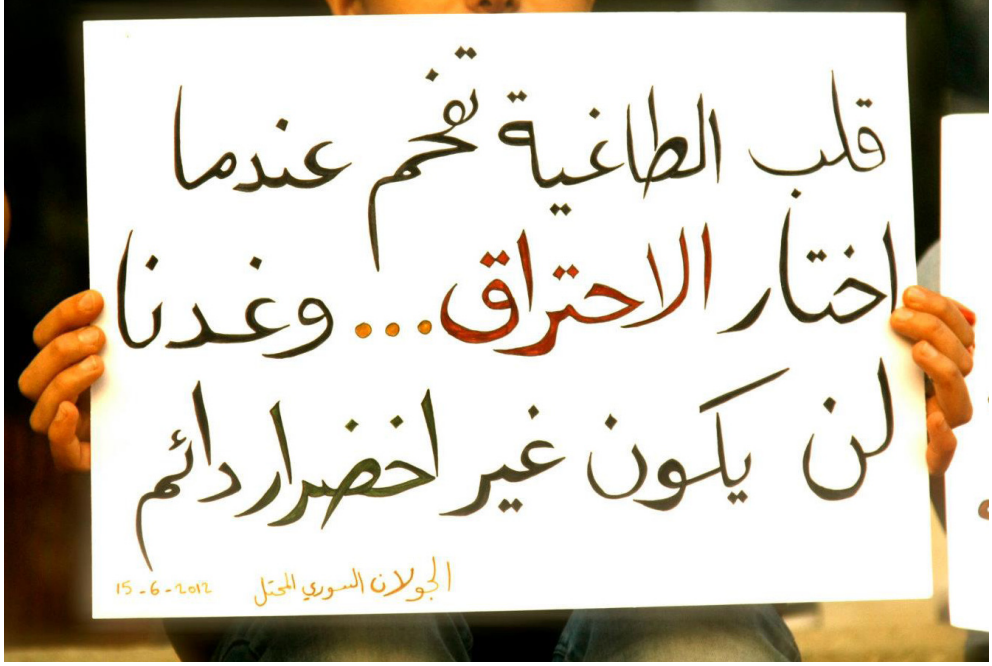

الشرعيين لسورية ليتمكن مع مرور الأيام من التلاحم وتوحيد الموقف" في إشارة إلى أن واشنطن تسير باتجاه الاعتراف به وإن لم تكن على عجلة من ذلك.

كما ازدادت الضغوط الدولية على النظام كثافة بعد قرار حلف الناتو نشر صواريخ باتريوت في تركيا الثلاثاء، وهو القرار الذي ثمنته الوزيرة كلينتون، مع العلم بأنها وصفته كشبكة دفاعية الهدف من نشرها هو حماية تركيا، وهي تبعث برسالة مفادها أن تركيا تحظى بدعم حلف الناتو. ورغم ذلك فان معظم الخبراء في واشنطن ينظرون إلى أن هذه الخطوة تحمل أهمية ومغزى بأن التصعيد يذهب باتجاه اتخاذ خطوات عسكرية ضد النظام السوري، بما في ذلك فرض منطقة حظر جوي، وملاذ آمن للمسلحين السوريين الذين يخوضون حرباً مستميتة ضد قوات النظام بدعم عسكري من تركيا وقطر والمملكة العربية السعودية، واستخدام تلك المناطق كقواعد تدريب وتسليح وانقضاض على الأراضي السورية ولحماية تراجعهم وانسحابهم عند الحاجة.

حتى العدالة الدولية الغائبة عن المشهد السوري، ظهرت بشائرها، إذ قالت هيومن رايتس ووتش في تقريرها الأخير أن جنوداً سوريين منشقين قاموا بذكر أسماء 74 قائداً ومسؤولاً يتحملون مسؤولية هجمات على متظاهرين عُزّل. يذكر التقرير أسماء القادة والمسؤولين بالجيش السوري وأجهزة المخابرات السورية الذين يُزعم أنهم أمروا أو صرحوا أو تغاضوا عن عمليات القتل الموسعة والتعذيب والاعتقالات غير القانونية خلال مظاهرات عام 2011 ضد السلطات. ودعت هيومن رايتس ووتش مجلس الأمن إلى إحالة الوضع في سوريا إلى المحكمة الجنائية الدولية، وأن يفرض عقوبات على المسؤولين المتورطين في الانتهاكات.

وقالت آنا نيستات، نائب مدير قسم الطوارئ في هيومن رايتس ووتش والتي شاركت في كتابة التقرير: "أعطانا المنشقون أسماء ورُتب ومناصب من أعطوهم الأوامر بإطلاق النار والقتل، ولابد من أن يتحمل كل مسؤول مذكور في التقرير، بغض النظر عن رتبته أو مستواه، مسؤولية ما ارتُكب من جرائم بحق الشعب السوري. على مجلس الأمن أن يضمن المحاسبة، بإحالة الوضع في سوريا إلى المحكمة الجنائية الدولية".

وأضافت: "مهما حاول (الرئيس) الأسد أن ينأى بنفسه عن المسؤولية وعن قسوة حكومته الغاشمة، فإن زعمه بأنه لم يأمر بالقمع لا يعفيه من المسؤولية الجنائية". وأضافت: "بصفته القائد العام للقوات المسلحة، فلابد أنه يعرف بهذه الانتهاكات – وإن لم يعرفها من مرؤوسيه فلابد أنه عرفها من تقارير الأمم المتحدة والتقارير التي أرسلتها إليه هيومن رايتس ووتش". "ولابد أن يعرف المسؤولون السوريون الذين تورطوا في هذه الجرائم أنهم سيدفعون الثمن في نهاية المطاف. ولابد أن يعرفوا أنهم سيتحملون المسؤولية حتى رغم زعم (الرئيس) الأسد أنه لم يفعل شيئاً".

كما دعت المنظمة المذكورة مجلس الأمن لإحالة الوضع في سوريا إلى المحكمة الجنائية الدولية. ولأن الجرائم ضد الإنسانية تعتبر جرائم تستدعي استعمال الاختصاص القضائي العالمي، فإن جميع الدول مسؤولة عن إحقاق العدالة على من ارتكبوا هذه الجرائم.

وبعيداً جداً عن كل هذا الضجيج يخرج علينا " شارل أيوب " صاحب جريدة " الديار" اللبنانية العريقة بالمقال الذي اخترنا عنوانه لملفنا اليوم، " هكذا يمضي الأسد يومه " وهو مقال من الناحية التقنية يرقى لنسوخ الأطفال أتى بتوقيع شارل أيوب، لكن أي متابع للصحافة اللبنانية، سيملك يقيناً أن هذا الصحفي الكبير لن يخرج علينا بالمقال الذي سنورد متنه كما جاء في الديار:

" يستفيق الرئيس السوري الدكتور بشار الأسد عند السادسة والنصف صباحا، ينهض من النوم ويمارس الرياضة، التي يمارسها يومياً مهما كانت الظروف. وبذلك يظهر جسمه وأكتافه ووقفته بوضع رياضي كالذين يمارسون رياضات باحتراف، لأن الرئيس الأسد يمارسها يومياً، حتى أنه يطلب من أصدقائه ممارسة الرياضة، ثم يأخذ الترويقة بأكل خفيف ويبدأ عمله في السابعة والنصف، وعند السابعة أحياناً، ليقرأ التقارير والمرفوع إليه من رسائل دول وسفارات وتقارير الأجهزة الأمنية.

وبعد أن يقوم بتكوين صورة كاملة عن الوضع، يبدأ بإتصالاته الهاتفية، يتصل بمن يلزم هاتفياً، ويعقد اجتماعات. لكن يقوم بأكثر من 100 اتصال هاتفي في اليوم مع مسؤولي مساعديه لإعطائهم توجيهاته ومتابعة الأمور كلها.

ثم يتصل برئيس الأركان العماد فهد الجاسم ويسأله عن الوضع الميداني وعن وضع الجيش السوري في تحركاته. ويدخل في كل تفصيل صغير وكبير، وكل عمل عسكري يشرف عليه الرئيس الأسد، كأنه ليس طبيباً، ولا رئيس جمهورية، بل ضابط محترف أمضى حياته في العمل العسكري، وهذا ما يتعجّب له المساعدون والأركان السورية في الجيش السوري. ويتصل أيضاً برؤساء الأجهزة، ويتخطى أحياناً المرؤوس، إلى مرؤوس أدنى، لمعرفة كل التفاصيل.

وأما قيام الطائرات الحربية بغارات جوية، فمرتبط به مباشرة، ولا تتحرك أي قاعدة جوية إلا بأمر منه. ويدير العمليات الحربية من خلال الأوامر الذي يعطيها لرئيس الأركان، ومن خلال متابعة تفصيلية، لمجريات الأمور على الأرض.

ويعرف الرئيس الأسد أن الوضع العسكري صعب، نظراً لانتشار المسلحين في كل البلاد، إضافة إلى وجود 15 ألف أجنبي من الأصوليين والسلفيين الذين يقاتلون في سوريا، أعصاب الرئيس الأسد باردة، وأحياناً يهدئ من انفعال الضباط الكبار والمرؤوسين، ولديه متانة وصمود في القرارات، تعطي الثقة لدى القادة العسكريين.

وأحياناً يكون قائد عسكري لديه مشكلة وواقع في أزمة مع المسلحين كبيرة، فيعالجها الرئيس الأسد شخصياً ويتابع وضع الطيران وحجم قذف القنابل بالطائرات الحربية، إضافة إلى تحريك الطوافات. وهو الذي يعود إليه الفضل، أي الرئيس بشار، بمنع منطقة معزولة يتمركز فيها المسلحون المعارضون ومنها ينطلقون لمهاجمة الجيش النظامي.

الغداء في القصر الرئاسي هو غداء يعطي تغذية جيدة، ويختار الرئيس الأسد الأطباق التي يريدها، وعادة لا يأكل كثيراً. ولذلك تراه يحافظ على وزنه، منذ 12 سنة وحتى الآن، أي عندما استلم الرئاسة وحتى هذا اليوم.

الدول الغربية تدرس شخصية الرئيس بشار الأسد، وتستنتج انه صلب في مواقفه، ولا يخاف اتخاذ قرارات هامة، وفي ذات الوقت، لديه مرونة في الدبلوماسية السياسية، حيث يعطي توجيهاته لوزير الخارجية وليد المعلم، بشكل ديبلوماسي دقيق، رداً على كل النقاط المتعلقة بالعلاقات مع الدول.

لا يرتاح الرئيس الأسد بعد الظهر، ويكمل اهتمامه بقراءة الوثائق العسكرية، ومتابعة ما يجري من أحداث على الحدود وفي الداخل ولدى سوريا اكبر حدود في دول المنطقة. فحدودها مع تركيا 800 كلم، وحدودها مع العراق أيضاً، ثم حدودها مع الأردن، ثم الحدود مع لبنان، إضافة إلى جبهة الجولان.

ثم ينطلق في قراءة الوثائق عن المعارك في الداخل، إضافة إلى التقارير الاستخباراتية حول ما يجري في الخارج، سواء على مستوى المسلحين في تركيا وغيرهم، وفي الداخل الذين يريدون القيام بأعمال عسكرية ضد الجيش السوري.

الرئيس الدكتور بشار الأسد عنيد في مواقفه، لا يقوم بتغيير رأيه إذا كان مقتنعاً بقضية، ولا احد يؤثر عليه في قناعاته عندما يكون مقتنع بالشيء وبالأمر، ولذلك يجد رؤساء الدول صعوبة في إقناعه بأمور هو ليس مقتنعاً بها.

ينصرف إلى المطالعة باللغة الانكليزية آخر التقارير وآخر الكتب باللغة الانكليزية التي يتقنها جيداً، إضافة إلى متابعة تقارير الإنترنت، ومواقف وتحليلات في المواقع الأساسية في العالم.

الوضع النفسي عنده شجاع للغاية، ولولا مستشاريه والمسؤولين عن الأمن لكان كل يوم يزور منطقة في الداخل، ويتفقد الجنود السوريين، إلا أن رؤساء الأجهزة الأمنية يصرون عليه بعدم المخاطرة، وعندما سقطت بعض القذائف قرب قصر الشعب، اعتبر الرئيس الأسد أنهم يريدون إرهاب القصر، فكان يضحك ويقول إنهم لا يعرفون حجم صلابتي.

يدرك الرئيس الأسد أن حرباً دولية تجري ضد سوريا، وان عليه الصمود، وعلى هذا الأساس، جمع مستشاريه وأبلغهم كيفية المواجهة دون أن يشعرهم بأي خوف من المستقبل، وحجم الحرب العالمية على سوريا، كما أنه وضع في الأماكن الحساسة من المسؤوليات أشخاصاً لهم خبرة عسكرية وأمنية كبيرة.

وبالنسبة للحكومة، يتابع أعمالها مع الوزراء، فيتصل بوزير الإعلام ليتابع معه الأخبار، ونشرة الأخبار في التلفزيون، وكيفية التصرف، ومع وزير الداخلية أيضا، ووزير الدفاع، وفي ذات الوقت، يتصل بحاكم المصرف المركزي السوري وبوزير المالية، ويتابع الوضع المالي لليرة السورية تفصيلياً.

لعلّ الرئيس بشار الأسد، برأي السفراء الأجانب، أنشط رئيس بين رؤساء الدول العربية وأكثرهم عملاً، فهو يواظب على عمله إلى حدّ 18 ساعة من أصل 24، أحياناً يتعشّى قطعة سمك مشويّة، أو شيء قابل للهضم بسرعة. ويعطي تعليماته انه في حال حصول حوادث هامّة أثناء نومه، فيمكنهم إيقاظه من النوم. وعليهم عدم الارتباك والعودة إليه عند حصول مشكلة كبرى وهو يأخذ القرار المناسب.

قرب سريره كتب باللغة الانكليزية الصادرة حديثاً، يقوم بقراءة قسم منها قبل نومه. وعندما يأتي إلى النوم، ينام بسرعة بمجرد أنه جلس في فراشه ونام، فانه ينام خلال 10 دقائق وليس أكثر، بعد أن يكون نهاره قد امتلأ عملاً ونشاطاً ورياضة ومتابعة لكل تفصيل ".

لعل المقال سابق الذكر لم يأتِ بمفيد، والظاهر منه أنه أتى لتلميع صورة الأسد في أعين مؤيديه، إلا أنه وبنظرة أعمق يحمل رأس النظام كامل المسئولية عن جرائم الحرب المرتكبة بحق المدنيين، فحين يشدد أيوب على أن (الرئيس) الأسد شخصياً يتابع وضع الطيران وحجم قذف القنابل بالطائرات الحربية "بما فيها تلك المحرمة دولياً "، إضافة إلى تحريك الطوافات. وهو الذي يعود إليه الفضل، بمنع منطقة معزولة يتمركز فيها المسلحون المعارضون ومنها ينطلقون لمهاجمة الجيش النظامي "، يقطع الطريق على كل تصريحات الأسد التي ينفي فيها حتى علمه بالقتل المستمر في سوريا.

حقاً إنه آخر الكلام، وسفينة النظام تغرق، وأحد المقربين من رأس النظام الذي أوعز للديار المتعاونة تاريخياً مع الأجهزة الأمنية السورية باعتراف مالكها ورئيس تحريرها، بنشر هذا المقال يدرك حتمية النهاية ويبحث هو وغيره عن صك براءة بتحميل الأسد كامل المسئولية عما يحدث في سوريا..

بداية التاريخ

■ خالد كنفاني

بعد عشرين عاماً بأكملها من نشره لكتابه الشهير: "نهاية التاريخ" عام 1992، الذي لاقى اهتماماً كبيراً ورواجاً واسعاً في العالم بأسره، يعود فرانسيس فوكوياما هذه الأيام إلى الأضواء بكتاب جديد، صدر تحت عنوان: "بداية التاريخ"، والمؤلف هو في الأصل مختص في الاقتصاد والفلسفة، ولم يكن معروفاً قبل صدور كتابه الأوّل، ولكن حال خروج كتاب "نهاية التاريخ" للناس حتى أثار ضجّة وجدلاً واسعاً لدى النخب من السياسيين والأكاديميين، وأصبح مرجعاً، وقد تمت ترجمته إلى اللغة العربية والعديد من اللغات الأخرى، وقد حلل فيه المؤلف انتصار الديمقراطيات الليبيرالية بعد صراع طويل مع النمط السوفييتي وبشر فيه بنهاية التاريخ لدى سقوط الشيوعية وإزالة جدار برلين وانتهاء الحرب الباردة بين الشرق والغرب.

ويعترف فوكوياما بأنه لم يتنبأ ولم يخطر له ولو لوهلة آنذاك أن يقوم شيء اسمه "الربيع العربي"، فقد كانت رؤيته في ذلك الوقت منطلقة من الاستبداد الذي كانت تعيشه المنطقة العربية والذي كرّسته القوى الكبرى وهو يستشهد على ذلك بتدخل الولايات المتحدة وحلفائها لطرد الجيش العراقي من الكويت بينما لم يتم القضاء على نظام الرئيس صدام حسين رغم أن الجنرال شوارسكوف قائد القوات المشتركة في حرب الكويت كان قد ذكر في مذكراته بأنه وصل بالفعل إلى البصرة وطلب التعليمات من قيادة الأركان في واشنطن للمتابعة إلى بغداد لكون "الطريق بات مكشوفاً"، إلا أن التعليمات جاءت من البيت الأبيض إلى قيادة الأركان بالتوقف والعودة إلى الحدود الكويتية العراقية.

غير أن فوكوياما لا يعترف صراحة بأنه أخطأ التقدير وإنما يقول أنه يجري بعض "المراجعات" لآرائه السابقة فيما يتعلق خصوصاً بالصين وروسيا والمنطقة العربية. ونحن إذا كنا نختلف معه تماماً فيما يتعلق بنهاية التاريخ نظراً لأنه لا يمكن اعتبار أي حدث نهاية للتاريخ بناء على افتراضات ومعطيات آنية، إلا أننا قد نتفق معه فيما يتعلق ببداية التاريخ كون الربيع العربي جاء بالفعل مفاجأة للجميع وبطريقة غير مسبوقة تاريخياً ومؤسساً لحقبة جديدة في التاريخ يقودها عامة الناس وليس رموز وقادة وأبطال وأسماء لامعة وفرسان خارقون وزعماء تاريخيون، فزمن الرموز قد ولى وما يحدث في مصر اليوم أكبر دليل على ذلك حيث يرى الناس أن لا أحد يحق له فرض الزعامة عليهم بحكم شخصيته أو تاريخه أو شكله أو نسبه حتى انتخابه ديمقراطياً، فإما أن يكون مع الشعب أو لا يكون أبداً.

لم تكن سوريا استثناء في بين أزهار الربيع العربي، فقد بدأ ربيعها مع مجموعة من الشباب المثقف الوطني الشجاع الذي قرر في لحظة تاريخية من يوم 18 آذار 2011 أن يقول لا للظلم وأن يطالب بالإفراج عن المعتقلين المنسيين في سجون النظام لعقود من الزمن. كانت اللحظة تاريخية مرت على الجميع كالسحر الذي طاف فوق رؤوس الأشهاد ودخل في قلوبهم فيما بعد. إلا أن كثرة التدخلات وبطش النظام اللامحدود وغياب أي دعم دولي للحل وحضور إرادة خليجية باتت أكثر من واضحة لإشاعة الفوضى والعشوائية والتطرف في سوريا حرفت الثورة عن مسارها وعقّدت العوامل الداخلية فيها وأوصلت البلاد إلى نفق مظلم دخلته بالفعل وبات من الصعوبة بمكان إدارة المسألة برمتها حتى بوجود أكبر القوى العالمية.

يمكننا بكل ثقة أن نعتبر يوم 18 آذار 2011 بالفعل بداية لتاريخ جديد في سوريا، غير أننا لا نريد لهذا التاريخ أن ينتهي في لحظة أخرى فارقة بسبب العشوائية والتخبط والولاءات المتعددة وتصفية الحسابات والجهل والمحسوبيات. لقد دخل على خط هذه الثورة النقية آلاف المتسلقين وأدعياء الحرية ورجال الأعمال والمنشقون الذين ملؤوا جيوبهم من النظام عقوداً ثم يأتون اليوم ليتبوؤا الزعامات ويدعوا البطولة. وتاهت الثورة بين فوضى السلاح وأصحاب العمائم والغنائم وسط تزايد الغضب الشعبي من كل شيء: من النظام الغاشم الذي لا يرحم ومن أدعياء الثورة الذين استغلوا الفرص لممارسة الخطف والقتل العشوائي تحت مسميات مختلفة.

كان الأمل كبيراً لدى انعقاد "الائتلاف الوطني" على أساس تحالف القوى الثورية والثقافية والاجتماعية ورغم التنازع على المناصب الوهمية واختلاف الأجندات فقد تم التوصل إلى حل "توفيقي" مؤقت يرضي طموح البعض ويشبع غرور البعض الآخر بينما مارس بعض المشاركين "التقية" (كالإخوان والمجلس الوطني مثلاً) على مبدأ الوعود البراقة في المستقبل. غير أن الائتلاف فاجأنا بالعمل وفق نفس الطريقة التي عمل بها المجلس الوطني وخاصة من حيث عدد السفريات المهول وإنشاء صفحة خاصة على الفيس بوك الذي أصبح منبر المناضلين والثائرين في هذا العصر.

لم نفهم مثلاً لماذا لا تزال كل تلك القوى الثورية التي نصبت نفسها في قيادة الثورة دون تكليف من أحد بعيدة عن سوريا دون أن يكون للائتلاف ولو ممثل واحد في سوريا وخاصة في المناطق الشمالية والتي يدعون أنها أصبحت شبه حرة. فإذا كان قد تم بالفعل تحرير تلك المناطق فبإمكان المعارضين إذاً التواجد على الأرض والبدء بالعمل من الداخل والتخطيط للمرحلة القادمة والتي تشبه القيامة بعد الدمار الهائل الذي طال تلك المناطق بفعل النزاعات والقصف العشوائي و"الانسحابات التكتيكية".

في الواقع، لدينا تفسيران لهذا الأمر:

الأول ينطلق من فكرة "اكسب اليوم ما يمكن أن تخسره غداً"، فكثير من أعضاء الائتلاف يرون فيما يحدث اليوم فرصة تاريخية لكسب الأضواء والتنقل بين بلاد الدنيا والحفاوة والترحاب والمنتجعات والفنادق التي كان بعضهم لا يحلم بمجرد الوقوف على أبوابها. وتكلفة الأمر بسيطة، بضعة شتائم للنظام على الفيس بوك والتوشح بعلم الاستقلال الأول والتباهي بعدد السفريات "خدمة للثورة". حتى أن أحد هؤلاء أذاع نبأ ركوبه الطائرة رقم مائة "في سبيل الثورة"! ونترك للقارئ احتساب أيام السفر عندما نعلم أن هذا حدث خلال فترة ثمانية عشر شهراً من عمر الثورة السورية. إن هؤلاء يعملون اليوم بنفس منطق الشبيحة (من الجانبين) والذين يمارسوم أعمال الخطف والنهب وبيع الممتلكات والمصانع انطلاقاً من خوفهم من المجهول القادم ومن منطلق اكتساب ما يمكن اكتسابه وعبر أية طريقة. الفرق الوحيد هو أن الاولين يستعملون الكلمات والابتسامات بينما يستعمل الأخيرون البنادق والرشاشات.

الثاني ينطلق من فكرة أنه لا توجد أساساً أية سلطة أو حتى قيمة لكلمات معارضي الخارج لدى حملة السلاح من كتائب الجيش الحر وغيرها من مئات الفصائل والمجموعات العاملة على الأرض. فهؤلاء لا يعملون تحت أية قيادة كما أن مصادر تمويلهم تتفاوت في توجهاتها وتطلعاتها ولن يستطيع مخلوق على وجه البسيطة أن يتدخل في شؤونهم أو يوجههم أو حتى ينصحهم ناهيك عن انتقادهم والتجارب التي يعيشها أهل حلب وريفها خير شاهد على ذلك. ويعلم الائتلاف والمجلس والهيئة وأشباههم أن دخولهم سوريا سيجعلهم تابعين لحملة السلاح لا العكس.

وإذا كان ما يحدث في مصر يعتبر في قمة السلمية فهو يعبّر بوضوح عن مدى الغضب الشعبي العارم لدى الجماهير لمجرد اتخاذ الرئيس المنتخب ديمقراطياً قراراً يخالف تطلعات الشعب. فما بالك بمن حمل السلاح وفرض نفسه بالقوة حاكماً بأمره؟ إذا كان ثوار الفنادق على وعي وحكمة فعليهم أن ينظروا حولهم ملياً قبل أن ينصبوا أنفسهم زعماء وناطقين باسم هذا الشعب.

لم تعد الخيارات كثيرة أمام السوريين بعدما دخلوا نفقهم المظلم من الحقد والكراهية والدمار والقتل والفوضى ولم يبق أمامهم إلا انتظار المجهول في عالم لم يعد يرحم ولا يهتم بوطن مزقته التجاذبات الدولية ويذبحه يومياً نظام ظالم لا يزال حتى الرمق الأخير يقتل ما تبقى من أمل في نفوس السوريين، ولم تكن آخر النكات سوى التحذير العالمي من استخدام الأسلحة الكيميائية ضد السوريين وكأن كل ما حدث فيما مضى كان مجرد تجارب حتى نفهم طبيعة العلاقات الدولية والمصائب المترتبة على انفلات هذا النظام على رقاب العباد وتدمير حياتهم وآمالهم وأحلامهم التي رسموها يوماً ما لمستقبل اعتقدوا فيه أمنهم وأمانهم.

إذا كان التاريخ يرسم خطوطه الجديدة في سوريا منذ أكثر من عام فإن خشيتنا من نهايته أكبر وسوف تزيد مسؤوليتنا تجاه هذا الوطن الذي تتقاذفه الأهواء والألاعيب السياسية. من يراهن على إرادتنا للحياة خاسر حتماً، أما من يراهن على تلوثنا بأوساخ السياسة والدين فنخشى أن يكون هناك من يستعد لتسليم نفسه للساسة ورجال الدين وسنكون رهائن أنظمة شتى كل منها يحكم بطريقته ويفرض منهاجه وهو ما لن نقبله بعد أن قلنا فيما مضى: "الموت ولا المذلة".

آخر الكلام: يقول الشاعر:

شام يا شام ما في جعبتي طرب
أستغفر الشعر أن يستجدي الطربا
ماذا سأقرأ من شعري ومن أدبي
حوافر الخيل داست عندنا الأدبا

المخفي ومسئوليته في التشريع السوري

■ ياسر مرزوق

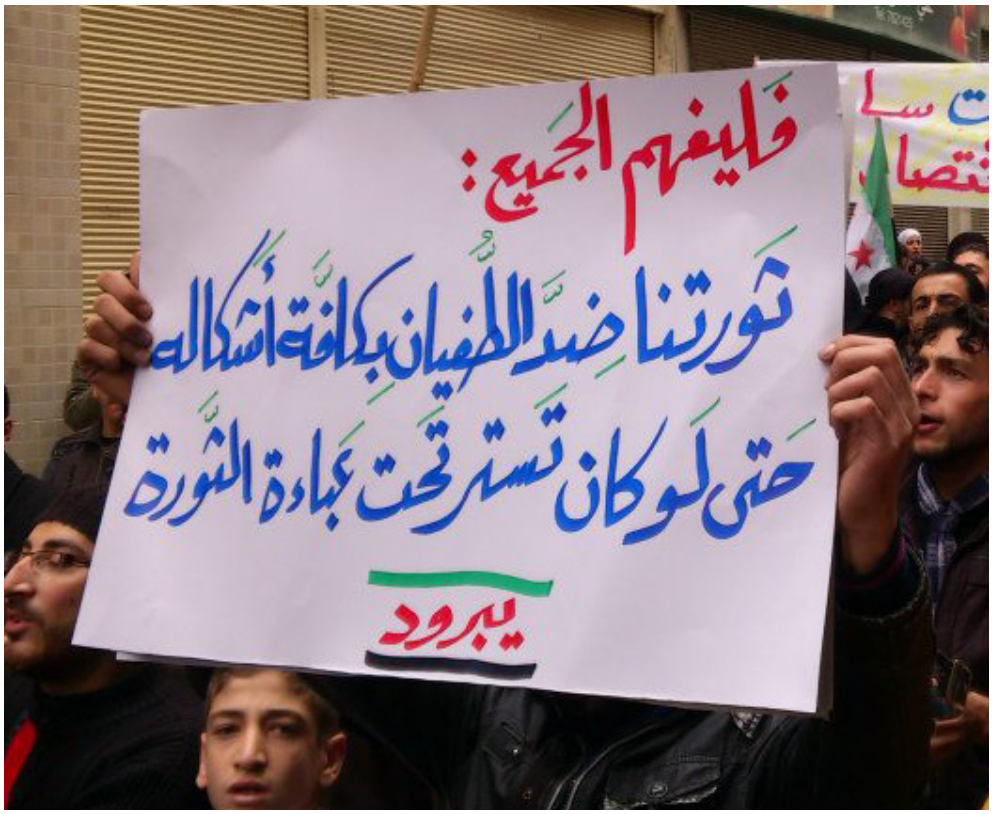

كثيراً ما يتوارى المجرمون عن وجه العدالة، ويخفون الأشياء المتعلقة بجريمتهم، كالأدوات المستعملة في الجريمة، أو الأشياء المسروقة، أو الأوراق المزورة. وقد عاقب المشرع من يساعد هؤلاء، بإخفائهم أو إخفاء أشياء جريمتهم، وأطلق عليه صفة المخفي.

لقد عرّف المشرع المخفي وحدد عقوباته في المادتين 220 و221 من قانون العقوبات وقد جمع بينهم وبين المتدخلين في نبذة واحدة على الرغم من أن المخبئ ليس مساهماً في الجريمة السابقة على نشاطه إلا أن ما يبرر هذا الجمع صلة الارتباط التي تجمع بين جريمة المخفي وجريمة سابقة عليها. ذلك لأن الأولى غير متصورة بدون الثانية. ولقد تبنى الشارع مذهب اعتبار المخفي مساهماً في الجريمة التي يخبئ مقترفيها والسبب بذلك أن نشاطه لاحق على إتمام تنفيذها. وقد قسم الشارع الإخفاء إلى صنفين إخفاء الأشياء وإخفاء الأشخاص..

فنص على إخفاء الأشياء في المادة "220" عقوبات وقد حرص المشرع في متن هذه المادة على إقرار التفرقة بين هذه الجريمة.. والتدخل في الجريمة السابقة عن طريق الوسيلة الخاصة التي تنص عليها المادة "218" من قانون العقوبات وضابط هذه التفرقة أو وسيلة التدخل تفترض اتفاقاً سابقاً مع الفاعل أو أحد المتدخلين. تم إخفاء الأشياء الناجمة عنها تنفيذاً لهذا الاتفاق وبذلك يكون نشاط المتدخل سابقاً على تنفيذ الجريمة أما جريمة إخفاء الأشياء فتفرض أنه لم يكن أي اتفاق سابق.. وإنما كان نشاط مقترفها جميعه لإخضاعه لحظة تنفيذ الجريمة. وقد تطلب الشارع بأن يكون المدعى عليه أي المخفي عالماً بالأمر، والعلم يتعين أن: العلم بمصدر الأشياء الجرمي. فيعلم بالفعل الذي كان وسيلة الحصول عليها وما اتسم به من خصائصه و انطوى عليه مساس بحقوق الغير. يعلن القانون عليه صفته الجرمية، ولكن لا يشترط العلم بهذه الصفة ذاتها أو بنوع الجريمة التي تقوم به ووصفها القانوني.. لأن ذلك يفترض وفقاً للقواعد العامة والعقوبة التي حددها الشارع لهذه الجريمة هي الحبس من ثلاثة أشهر إلى سنتين والغرامة من مائة ليرة إلى مائتي ليرة وهذه العقوبة ثابتة لا ارتباط بينها وبين عقوبة الجريمة السابقة ويؤكد ذلك استقلال كل منهما عن الأخرى. إلا أن ملاحظة صلة الارتباط بينهما حملت الشارع على أن يحصر عقوبة هذه الجريمة في حدود معلومة بحيث تبقى أقل من عقوبة الجريمة السابقة باعتبارها تابعة لها فنص على أنه إذا كان الشيء ناجماً عن جنحة فلا تتجاوز عقوبة الإخفاء ثلثي الحد الأقصى لعقوبة هذه الجنحة. ويجب الملاحظة بأن هذه الجريمة مستمرة وبناء على ذلك فإن التقادم بمرور الزمن المهني للدعوى العامة لا يبدأ إلا من تاريخ انقضاء حالة الاستمرار وذلك بخروج الشيء من يد مخفيه. وقد قرر المشرع عذراً محلاً من العقاب يسري على كل شخص ارتكب جريمة إخفاء الأشياء المسروقة.. أو جريمة إخفاء الأشخاص الذين ساهموا في سرقة إذا أخبر السلطة عن أولئك الشركاء قبل أية ملاحقة أو أتاح القبض ولو بعد مباشرة الملاحقات على من يعرف مخبأهم - المادة 640 عقوبات وهذا القدر يستفيد منه مخفو الأشياء المسروقة دون مخفي الأشياء الناجمة عن جرائم أخرى، وتقتصر الاستفادة منه على المخفين دون المصرفين وهذا يتضح من استعمال الشارع لفظ "إخفاء" وإغفاله لفظ "التصريف" الذي استعمله بالمادة 220 عقوبات كما أنه يستفيد منه مخبئو الأشخاص الذين ساهموا في جرائم أذى وتخبئة الأشخاص نص عليه الشارع في المادة /221/ عقوبات.

وقد حرص الشارع في صدر هذا النص على التفرقة بين تخبئة الأشخاص كوسيلة للتدخل الجرمي وتخبئة الأشخاص كجريمة قائمة بذاتها فإخفاء الأشخاص كوسيلة للتدخل تنص عليها الفقرة الخامسة من المادة /218/ عقوبات ويميزها بأنها تنفيذ لاتفاق سبقها فهي تندمج في الاتفاق بحيث تعتبر به نشاطاً سابقاً على الجريمة التي انصرف التدخل إليها أما تخبئة الأشخاص كوسيلة للتدخل تنص عليها الفقرة السادسة من ذات المادة فيميزها أمران: أنها تفترض نشاطاً معاصراً للمشروعات الجرمية للأشقياء الذين يقدم إليهم المأوى أو المخبأ، وأن هؤلاء الأشقياء دأبهم ارتكاب الجرائم المشار إليها في هذه الفقرة السادسة من المادة 218 أي أنهم اعتادوا على هذا النشاط الجرمي ويبقى أن تتجه الإرادة إلى النشاط الجرمي ونتيجته لتوافر القصد الجنائي ومن ثم لا يتوافر هذا القصد إذا أكره المدعى عليه على الإخفاء أو المساعدة وسواء كانت الدوافع إلى الجريمة. فيقوم القصد وإن كان الدافع غير دنيء.

وقد حدد الشارع عقوبة هذه الجريمة بالحبس من ثلاثة أشهر إلى سنتين: فلا ارتباط بين هذه العقوبة وعقوبة الجناية المقترفة. والعذر المحل نص عليه الشارع وعدد المستفيدين منه في المادة 221 عقوبات الفقرة الثانية وعلة هذا العذر أن تصرف المدعى عليه في هذه الحالات هو استجابة لشعور إنساني طبيعي فليس في وسع الشارع أن يكتمه.. وليس من المصلحة أن يحاول ذلك والشرط الوحيد للاستفادة من العذر المحل هو توافر صلة القرابة أو الزوجية أو المصاهرة بين المدعى عليه بهذه الجريمة وتقترف الجناية الذي خبأه، وبالنظر لكون هذه الجريمة مستمرة فإن العذر يتحقق إذا نشأت صلة الزوجية أو المصاهرة قبل انتهائها ولو لم تكن قائمة لحظة ابتدائها. وغني عن البيان أن الأشخاص الذين يستفيدون من العذر منصوص عليهم على سبيل الحصر ويستفيد المدعى عليه بهذه الجريمة من العذر المحل المنصوص عليه في المادة /640/ عقوبات في النطاق المحدد له والمقتصر على مخبئ المساهمين في جريمة السرقة.

م 640 -1 يعفى من العقوبة كل شخص ارتكب جريمة إخفاء الأشياء المسروقة أو جريمة تخبئة الأشخاص الذين اشتركوا في السرقة المنصوص عليها في المادتين 220 و 221 إذا أخبر السلطة عن أولئك الشركاء قبل أية ملاحقة أو أتاح القبض ولو بعد مباشرة الملاحقات على من يعرف مخبأهم. -2 لا تسري أحكام هذه المادة على المكررين.

م 218 في المتدخلين والمخبئين - يعد متدخلاً في جناية أو جنحة: من كان متفقاً مع الفاعل أو أحد المتدخلين قبل ارتكاب الجريمة وساهم في إخفاء معالمها أو تخبئة - أو تصريف الأشياء الناجمة عنها أو إخفاء شخص أو أكثر من الذين اشتركوا فيها عن وجه العدالة. - من كان عالماً بسيرة الأشرار الجنائية الذين دأبهم قطع الطرق أو ارتكاب أعمال العنف ضد أمن الدولة أو السلامة العامة، أو ضد الأشخاص أو الممتلكات وقدم لهم طعاماً أو مأوى أو مخبأ أو مكاناً للاجتماع.

المادة 219 -1 المتدخل الذي لولا مساعدته ما ارتكبت الجريمة يعاقب كما لو كان هو نفسه الفاعل. -2 أما سائر المتدخلين...

م 220 -1 من أقدم فيما خلا الحالة المنصوص عليها في الفقرة الخامسة من المادة 218 وهو عالم بالأمر على إخفاء أو بيع أو شراء أو تصريف الأشياء الداخلة في ملكية الغير والتي نزعت أو اختلست أو حصل عليها بجناية أو جنحة عوقب بالحبس من ثلاثة أشهر إلى سنتين وبالغرامة من مائة ليرة إلى مائتي ليرة.

الجنحة المذكورة: م 221 -1 من أقدم فيما خلا الحالات المنصوص عليها في الفقرتين الـ 5 و 6 من المادة 218 على إخفاء شخص يعرف أنه اقترف جناية أو ساعده على التواري عن وجه العدالة عوقب بالحبس من ثلاثة أشهر إلى سنتين. -2 يعفى من العقوبة أصول الجناة المخبأين أو فروعهم أو أزواجهم أو زوجاتهم حتى المطلقات أو أشقائهم أو شقيقاتهم أو أصهارهم من الدرجات نفسها.

العدالة الانتقالية

خطاب الانتقالية والتحول الديمقراطي

■ إحسان طالب

ما هي العدالة الانتقالية:

العدالة الانتقالية تشير إلى مجموعة من التدابير القضائية وغير القضائية التي يتم تنفيذها من قبل دول متعددة من أجل معالجة مخلفات انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان. وتشمل هذه التدابير 1 - الملاحقات الجنائية 2. لجان تقصي الحقائق، 3 ـ وبرامج التعويضات، 4 ـ وأنواع مختلفة من الإصلاحات المؤسسية. 5 ـ إجراءات مدنية وقانونية لترسيخ المصالحة وتمكين العدالة.

العدالة الانتقالية ليست نوع خاص من العدالة، ولكنها نهج لتحقيق العدالة في أوقات الانتقال من الصراع أو القمع الذي تمارسه الدولة الاستبدادية. من خلال محاولة تحقيق المساءلة القضائية ومعالجة الضحايا، والعدالة الانتقالية توفر الاعتراف بحقوق الضحايا، وتعزز الثقة وتقوي المدنية وسيادة القانون والنظام الديمقراطي.

كما يمكن تعريفها بمجموعة من الأساليب التي قد تستخدمها الدول لمعالجة انتهاكات حقوق الإنسان حدثت في الماضي وتتضمن المناهج القضائية وغير القضائية. وهي تشمل سلسلة من الإجراءات أو السياسات والمؤسسات الناتجة عنها، والتي يمكن أنها سنت ـ شُرعت ـ عند نقطة التحول السياسي من العنف والقمع إلى الاستقرار المجتمعي. وتعبر العدالة الانتقالية عن رغبة المجتمع في إعادة بناء الثقة الاجتماعية، وإصلاح نظام العدالة، وبناء نظام حكم ديمقراطي.

لماذا تعتبر العدالة الانتقالية مهمة:

في أعقاب انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان، وجب معرفة الجناة وتحقيق معاقبتهم، كما يجب تحديد الضحايا بشكل جيد وتأمين حصولهم على التعويضات المناسبة، العمل على إزالة أسباب تفجر الصراع عن طريق تحقيق العدالة والمساواة وإقامة دولة الحق والقانون.

إن انتهاكات حقوق الإنسان الممنهجة والجسيمة لا تؤثر فقط على الضحايا المباشرين لكنها تصل إلى المجتمع ككل، لذا وجب وضع السبل الملائمة لمنع تكرار حدوث تلك الانتهاكات وذلك عبر مؤسسات دستورية وحقوقية وسياسية وسلطات قضائية تزيل الفرص الممكنة لمعاودة الطرق أو الأساليب التي تسربت منها الانتهاكات، وينبغي أن يتم إصلاح المؤسسات الأمنية والعسكرية بصورة تكون قادرة على منع حدوث الانتهاكات تخلف الصراعات الطويلة تاريخ من انتهاكات جسيمة دون معالجة من المحتمل أن تحدث انقساما اجتماعيا، فيتولد جو عام من عدم الثقة بين الجماعات المكونة للمجتمع. كذلك ينتشر جو من انعدام ثقة المجتمع ومكوناته بمؤسسات الدولة والنظام السائد ما سيكون سببا في عرقلة بناء الأمن وإبطاء التنمية وإعاقة تحقيق أهداف النمو البشري والاقتصادي والانحراف عن أهداف تحقيق الأمن والسلم الأهلي فتضعف سيادة القانون وتعود الفرصة متاحة لتكرار دورة العنف. حيث رأينا كيف تعود الصراعات من جديد في كثير من البلدان التي شهدت فتورا في الصراع ولم تعالج الأمور من منطلق العدالة الانتقالية فتجددت دورة العنف وغرقت البلدان في دوامة الاحتراب الأهلي كما حدث في الصومال كمثال. إنها وسيلة مثلى لإعادة بناء الدولة والنظام على أسس مغايرة لتلك التي تسببت في حدوث النزاعات وانتهاك الحقوق العامة والخاصة وإهدار كرامة الإنسان وتهديد أمنه وضياع حاضره وغياب أفق المستقبل.

العناصر الشاملة لسياسة العدالة الانتقالية:

تشكل العناصر المختلفة لسياسة العدالة الانتقالية أجزاء من قائمة منتظمة مترابطة مع بعضها البعض من كافة النواحي العملية والنظرية، وتتداخل من خلالها قضايا العدالة الجنائية مع قضايا الإصلاح السياسي والقضائي والإصلاح المؤسساتي والمجتمعي العناصر الأساسية هي:

1 ـ المحاكمات الجنائية:، ويقصد بها عقد المحاكم المسؤولة عن محاكمة مرتكبي الجرائم مع الأخذ بعين الاعتبار تراتبية المسؤولية وعدم الانجرار نحو محاكمة صغار المسؤولين والكف عن مخططي السياسة الإجرامية والمحرضين على الفعل الإجرامي ومخططي سياسات حروب الإبادة بحيث يكون هؤلاء على رأس القائمة. وهذا يتطلب إعداد قوائم بالأشخاص المفترض تقديمهم للمحاكمة عبر هيئة قضائية متخصصة 2 ـ لجان الحقيقة: لجان تقصي الحقائق بعضها مختصة بتقدير وتقديم التعويضات ومسح الأضرار: تقوم بدراسة ومسح الأضرار المباشرة والمتعدية الناجمة عن أعمال العنف ـ الأشخاص والأمكنة ـ وتقدير الاحتياجات الفورية وتقدير التعويضات المناسبة والواجب إيصالها مباشرة لمستحقيها لأن أي تأخير بهذه المهمة سيؤدي إلى حالة من الإحباط قد يجر البعض نحو سلوك مسارات انتقامية، ويتوجب على الحكومات المحلية والمركزية الاعتراف بالمعاناة واتخاذ الإجراءات اللازمة لمعالجة الأضرار؛ كمثال على ذلك ينبغي العمل بشكل مؤسساتي مدروس لمعالجة جرحى الصراع وتأهيل أصحاب الإعاقات، الناجمة عن الحروب وتعويضات مباشرة نقدية ومادية لأهالي القتلى وإنشاء هيئات مستحدثة للعناية بالأطفال اليتامى وتأهيل مراكز الخدمات الصحية، وتحسين أداء المرافق العامة والخدمية.

3 ـ الاعتراف بالجميل وتقديم التقدير: إيجاد السبل الملائمة والآليات التي من خلالها تعترف الحكومات بالمعاناة وتتخذ خطوات لمعالجة الأضرار في البنية التحتية. كذلك معالجة الأضرار النفسية والتركيز على التقدير والعرفان بالجميل لمن بذلوا حياتهم وقدموا تضحيات جسام عبر مبادرات أهلية ورسمية يتمثل جزء منها في تسمية مرافق وشوارع بأسماء شهداء أو إنشاء مراكز اجتماعية مدنية لكتابة سيرة بطولات أفراد أو جماعات وإعادة نشرها وتعميمها، كما يبقى المجال مفتوحا لإقامة نصب رمزية تجسد بطولة وتضحية أفراد أو مجموعات. وتقديم الاعتذارات العلنية وتسمية أيام للذكرى أو الاحتفال. وتشكيل لجان متخصصة و تكنوقراطية للبدء بالإعمار وإسكان النازحين وإعادة المهجرين إلى أوطانهم.

4 ـ الإصلاح المؤسسي لمؤسسات الدولة: إصلاح المؤسسة العسكرية والمؤسسة الأمنية والمؤسسة القضائية بما يكفل منع تغول سلطات الدولة على الشعب كما يعيد القرار لتحرك المؤسسة العسكرية والأمنية للسلطة التنفيذية المنتخبة من الشعب وإقرار القوانين المحصنة لحقوق الأفراد والمقرة لشريعة حقوق الإنسان يتطلب إعادة الهيكلية لتلك المؤسسات المسيئة مثل القوات المسلحة والشرطة والمحاكم، لمنع تكرار الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان والإفلات من العقاب.

5 ـ لجان التوعية والتثقيف والمصالحة الوطنية: تقوم بنشر ثقافة التسامح وتحقيق المصالحات الأهلية وإدماج المجموعات المنخرطة في الصراعات في عمليات التنمية والإصلاح والتوعية، تحديد مراكز أو ما شابه كجهات متخصصة لتلقي الشكاوى: لتسهيل الطريق للإبلاغ عن أنماط منهجية لانتهاكات الحريات الفردية والحقوق وللتوعية بأنماط سوء المعاملة أو وسائل أخرى للتحقيق والإبلاغ عن أنماط منهجية من سوء المعاملة، والتوصية بإجراء تغييرات تساعد على فهم الأسباب الكامنة وراء الانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان..

هذه ليست قائمة مغلقة أو نهائية. ويمكن إضافة تدابير أخرى مختلفة تتوافق وطبيعة الاختلاف بين الدول والمجتمعات حيث يمكن اتخاذ تدابير أخرى تتناسب والحالة الخاصة لكن المفترض الحفاظ على العناصر المركزية في تلك السياسة.

على سبيل المثال تدابير أخرى. تخليد الذكرى، ، أصبحت مختلف الجهود للحفاظ على ذكرى الضحايا من خلال إنشاء المتاحف والنصب التذكارية، ومبادرات رمزية أخرى مثل إعادة تسمية الأماكن العامة، وما إلى ذلك، وهذا جزء هام من العدالة الانتقالية في معظم أنحاء من العالم، وتتشابه فيه معظم الدول.

على الرغم من أن العدالة الانتقالية تقاس بصلابة الالتزامات القانونية والأخلاقية، فإن هناك حرية واسعة للطريقة التي يمكن أن يكون بواسطتها تحقيق رضا عن تنفيذ تلك الالتزامات حيث لا توجد سياقات ثابتة وصيغ نهائية تناسب جميع الدول والمجتمعات.

القيمة الجوهرية للعدالة الانتقالية:

فهي لا تعني بالضرورة العدالة الجنائية فقط، ولكن غير ذلك من أشكال العدالة كالعدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص. وترتبط هذه الفكرة بالتالي بالتحول السياسي، مثل تغيير النظام أو التحول من الصراع المسلح، نحو مستقبل أكثر سلاما وديمقراطية واضحة المعالم، ومن مهامها حصر العقاب والمسؤولية بالأفراد وليس بالمجموعات العرقية أو الإثنية التي ينتمون إليها فلا يجوز أخذ فئة أو جماعة أو طائفة بجريرة فرد أو أفراد منها فالعدالة تستوجب معاقبة المجرم ذاته بل وتستوجب تحصين وحماية أهله من الانتقام طالما أنهم ليسوا شركاء في الجريمة، وهذا جوهر قيمة العدالة فالهدف هو تحصين المجتمع والسعي لمنع تكرار الجريمة وليس فعلها بدلالة الانتقام أو الثأر.

تلقت مؤخرا العدالة الانتقالية مزيد من الاهتمام من قبل كل من الأكاديميين وصناع السياسات. وقد ولدت أيضا مصلحة في مجالات الخطاب السياسي والقانوني، وخاصة في المجتمعات الانتقالية. في فترة التحولات السياسية، من الأنظمة الاستبدادية الديكتاتورية أو من الصراعات الأهلية نحو النظم الديمقراطية والسلم الأهلي، وقد وفرت العدالة الانتقالية في كثير من الأحيان فرص لمثل هذه المجتمعات لمعالجة انتهاكات حقوق الإنسان السابقة، والفظائع الجماعية، أو أي أشكال أخرى من الصدامات الشديدة وهي سبيل من أجل تسهيل الانتقال السلس إلى مستقبل أكثر ديمقراطية أو سلمية.

طبيعة وتاريخ العدالة الانتقالية:

ويمكن تتبع أصول مجال العدالة الانتقالية إلى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية في أوروبا مع إنشاء المحكمة العسكرية الدولية في نورمبرغ ومختلف البرامج ضد النازية في ألمانيا ومحاكمات الجنود اليابانيين. على وجه الدقة، ما أصبح يعرف باسم "محاكمات نورمبرغ، عندما انتصرت قوات التحالف اعتمدت العدالة الجنائية لمحاكمة الجنود اليابانيين والألمان وقادتهم بتهمة ارتكاب جرائم حرب ارتكبت خلال الحرب وما بعدها، ، وشهد ذلك العهد نشأة العدالة الانتقالية ودخل المفهوم ميدان الزخم والتماسك (1975) بدءا من محاكمات الأعضاء السابقين في المجالس العسكرية في اليونان والأرجنتين (المجالس، 1983). وكان محور العدالة الانتقالية في 1970 تعزز التركيز على حقوق الإنسان و 1980 في المحاكم معتمدا على المحكمة الجنائية مع التركيز على تعزيز حقوق أدى هذا إلى التركيز في جميع أنحاء العالم على العدالة الانتقالية والارتفاع التدريجي لنظام حقوق الإنسان وبلغت ذروتها في قوانين المؤسسات الدولية والاتفاقيات الدولية 1983.

كان تركيز العدالة الانتقالية حول كيفية الحصول على علاج الانتهاكات لحقوق الإنسان حدثت خلال الانتقال السياسي معتمدا على نقاط عدة:

الملاحقة القانونية والجنائية:

أصبحت المفاهيم العالمية ل العدالة كما لوحظ سابقا، مرتبطة بفقه حقوق الإنسان وكانت تلك الحقوق المنصة التي استندت العدالة الانتقالية عليها في مجال نظرية المعرفة في وقت مبكر، وبالتالي فإنه ليس من المستغرب بعد ذلك أن

الفكر الإنساني كان يسيطر على مفهوم العدالة الانتقالية الأولي مقتربا من حقوق المحامين والإجراءات القانونية: ونشأت القوانين التي تحدد طبيعة الجرائم، والعمليات المتبعة بشأن كيفية التعامل مع انتهاكات حقوق الإنسان وتقديم المتهمين للمساءلة. وبالتالي، العدالة الانتقالية لها جذورها في كل من حركة حقوق الإنسان والقانون الإنساني. قدمت هذه الأصول في حركة حقوق الإنسان بضرورة الوعي الذاتي للضحية التي ترتكز عليها العدالة الانتقالية ".

الديمقراطية كجزء من العدالة:

و1980 وشهدت الفترة ما بين عامي 1990 حدوث تحول في تركيز العدالة الانتقالية على الجانب الحقوقي للعدالة الانتقالية و تطور ليشمل الجوانب السياسية والثقافية والنفسية. حيث شهد العالم موجات من الديمقراطية بلغت أوجها في الموجة الثالثة للديمقراطية، وعادت العدالة الانتقالية للظهور مرة أخرى كحقل جديد من الدراسة في المجال الديمقراطي. توسع نطاق العدالة الانتقالية من الأسئلة أكثر ضيقا من الفقه القانوني ليستوعب اعتبارات سياسية لتطوير مؤسسات ديمقراطية مستقرة وتجديد المجتمع المدني. دمجت دراسات الباحثين على الانتقال من الأنظمة الاستبدادية إلى الديمقراطية منها، بما في ذلك تلك التي دمها كل أودونيل وصموئيل هنتينغتون، في إطار العدالة الانتقالية في دراسة العمليات السياسية الملازمة للتغيير الديمقراطي.

تحديات الديمقراطية في الفترات الانتقالية كثيرة هي:1 ـ تسوية حسابات الماضي دون عرقلة التقدم الديمقراطي، 2 ـ تطوير المنتديات القضائية 3 ـ الاستفادة من جهة خارجية قادرة على حل الصراعات، 4 ـ العمل على تقدير وتقديم التعويضات للمتضررين، 5 ـ إظهار التقدير للتضحيات التي قدمت كإقامة نصب تذكارية وخلق أجواء احتفالية 6 ـ تطوير المناهج التعليمية التي تعالج الثغرات الثقافية و7 ـ معالجة الصدمة الناجمة عن الصراع الدامي وما رسخ في ذاكرة الأمة التاريخية من عوالق مؤلمة.

مع تطور المجتمعات ومفاهيم العدالة انهارت بشكل واضح عناصر العدالة الانتقالية المعتمدة أساس على نظرية فقه القانون الجامد وذلك في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية. وقد استفاد إطار العدالة الانتقالية من عمل النشطاء الديمقراطيين وحلفائهم في حكومة ما بعد الصراعات الأهلية الذين سعوا لدعم الديمقراطيات الناشئة وجعلها تتماشى مع الالتزامات الأخلاقية والقانونية وتتمحور في توافق مع شريعة حقوق الإنسان العالمية.

لجان تقصي الحقائق:

أحد الابتكارات الخاصة هو ظهور لجان الحقيقة. بداية مع الأرجنتين في عام 1983، وشيلي في عام 1990، والأكثر شعبية جنوب أفريقيا في عام 1995، لجان تقصي الحقائق أصبحت رمزا للعدالة الانتقالية، والتي ظهرت في المجتمعات الانتقالية في أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا، وأوروبا الشرقية. ومع ذلك، فشلت عدة محاولات لإنشاء لجنة لتقصي الحقائق الإقليمية في يوغوسلافيا السابقة.

تطور مفهوم العدالة الانتقالية ليتحول نحو منظور أوسع لدراسة اجتماعية شاملة والانتقال نحو ترسيخ الديمقراطية باعتبارها واحد من الأهداف الرئيسة، ووضع استراتيجيات وطنية لمواجهات انتهاكات الماضي وإعادة بناء الدولة والمواطن بناءً على علاقات المواطنة والمساواة والتحقيق الإصلاح لمنع تكرار ما حدث في الماضي وإصلاح المؤسسات لمنع الإفلات من العقاب.

دور الجنائية الدولية: لعبت الجنائية الدولية دورا فعال في تحقيق العدالة الانتقالية في كثير من البلدان في أوروبا الوسطى والشرق الأوسط، ففي يوغسلافيا السابقة كان لمحكمة الجنايات الدولية دور بارز في محاكمة المتهمين بجرائم الحرب وجرائم ضد الإنسانية كما أدت الجنائية الدولية دورا في الثورة الليبية ولابد من إشراك الجنائية الدولية في موضوع العدالة الانتقالية وذلك ضمانة لمحاكمات عادلة ومن الشطط تحول العدالة لسيف بتار يقطع رقاب كل من يخالف النظام الجديد أو يخشى من تطور نفوذه ليؤثر في العلاقات المستحدثة في الدولة الجديدة كما حدث عام 1980 في إيران إبان ثورة الخميني حيث يعتقد أنه تم تنفيذ آلاف الإعدامات بذريعة تحقيق العدالة بعيدا عن محاكمة نزيهة وعادلة وبعيدا عن المراقبة الدولية

العدالة الانتقالية في الحالة السورية:

قامت في سوريا ثورة سلمية تنادي بالحرية والكرامة في منتصف مارس 2011 وتصدى لها النظام الأستبدادي بالقوة والعنف وواجهها بالسلاح وتطورت المواجهات نحو سعي الثوار للدفاع عن المظاهرات السلمية إلى المواجهة المسلحة الشاملة بين الثوار وقوات النظام وخلال ما يقرب من عامين أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة إدانات عدة لما يفعله النظام من انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان وارتكاب جرائم ضد الإنسانية وأشرفت لجنة المراقبين الدوليين على التحقيق في حدوث مجازر جماعية وتم تثبيت حالات متعددة من الموت تحت التعذيب وحالات كثيرة جدا ومستمرة لقصف جوي للمشافي الميدانية ولتجمعات المدنيين السلميين عند أفران الخبز وفي حقول الزراعة كما أشارت تلك التقارير إلى ارتكاب محدود لقوات المعارضة لانتهاكات لحقوق الإنسان وانتهاكات لمعاهدة جنيف المتعلقة بأسرى الحرب.

في ظل استمرار الصراع لما يقرب من العام والنصف وبعد ارتكاب النظام لجرائم إبادة بحق المدنيين ونتيجة للخشية من تحول الصراع الحالي إلى حرب أهلية كان من الضروري البدء بدراسة تطبيق مفاهيم ومبادئ العدالة الانتقالية في سوريا وتواترت تساؤلات طرحها السوريون عن طبيعة النظام القادم ومدى رسوخ قيم العدالة الاجتماعية والحرية والديمقراطية في فكر وعقيدة الثوار وكما طرحت تساؤلات عن شرعية القوانين الحالية وعن أي من القوانين التي ستطبق في حال تحكيم العدالة الانتقالية وإلى أي مدى سيكون للمجتمع المدني دور في المصالحة الوطنية.

لكن الأمر المتفق عليه هو أن العدالة يجب أن تأخذ مجراها بعيدا عن الحسابات الطائفية وغريزة الحقد وانفعالات الثأر كما أنه من المتفق عليه أن تكون سوريا الديمقراطية القادمة لكل أبنائها دون تمييز بسبب الجنس أو العرق أو الدين أو المذهب.

اعتمدت الدراسة في بعض الفقرات الرئيسة على مجموعة من المقالات المترجمة.

الحوار المتمدن | العدد: 3931 | 2012/12/4

كتاب العدد: موت مشتهى.. فصول في تحولات رباب عبد الجبار عماد شيحة

عميد السجناء السوريين عماد شيحة والمعتقل لأكثر من ثلاثين عاما من عمره (دخل السجن وهو في الواحدة والعشرين وخرج في الواحدة والخمسين !) والمنتمي للمنظمة الشيوعية العربية التي كانت تهمة الانتماء لها سببا في اعتقاله، انتقل عماد شيحة بين معظم السجون السورية منها 16 عاما في جحيم تدمر وست سنوات في معتقل عدرا ومن ثم ليفرج عنه من سجن صيدنايا عام 2004.

يقول عمار ديوب متحدثا عن رواية موت مشتهى: فيها يلج القارئ عالم السرد الغارق بالدماء، حيث يصور عملية التفكك والتحول في سوريا، منذ أربعة عقود، أو منذ بداية هذا القرن، فيبين أن التحول لم يكن إلا قفزة نحو الفراغ، حيث تصير الحياة بلا معنى والمستقبل بلا أفاق، مدعماً أفكاره بسيرورة شخصيات ينتقلون من وضع إلى أخر، من القرى الصغيرة النائية، إلى تجارة التهريب، إلى مواقع السلطة والفساد، إلى الشرطة التي لا ترتدع لأخلاق أو لقيم، فتصير الشرطة، الأمن، الأداة، التي تسيطر على كل شيء، وتبنى شبكات عنكبوتيه تلتهم المجتمع بداخله، مع هذا الظهور المتطرف للسلطة برز دورها وكثرت سجونها ومراكز اعتقالها، وراحت تتحكم بالبلاد بلا قانون أو تشريع، فساد قانون الغاب، حيث البقاء للأقوى، والموت للأضعف، وبالتالي انعدمت قيم الحرية والجمال والمحبة والعلم.

يحكي الكاتب عبر شخصياته التي تميل نحو التطرف كرد فعل ضد تطرف السلطة، كيف ينزوي المجتمع ويتحول إلى أشلاء، وتسيطر عليه نزعة الأنانية، وتتفكك الأسرة، ويتهمش الوطن والأرض وعبر هذه الآليات يسود القتل واللؤم والخبث، وكل النزوعات البهائمية، فتموت جذوة الحرية ويقتلها الاستبداد، وتنغلق مناخات الفرح ويعم الحزن والظلم والقهر، فتصير الأم - البنت - الكنّة - الوطن - خرقة بالية، وهي التي كانت تنافس الرجال !! تنعدم شخصيتها، وتتصرف بشكل آلي، وبدون روح فعلية، حتى المتعلمين أصحاب الشهادات الجامعية يتحطمون تماماً ويدخلون السجون.

أما السياسيون التافهون فيدخلون سراديب الكذب واللف والدوران ويمتنعون عن مواجهة الحقائق الفعلية، حقائق الحياة، ويستبدلونها بحقائق زائفة وبمشكلات لا علاقة لها بالواقع.

في السجون تحاول الأجهزة، الشرطة - الأمن، اغتصاب الحلم، المعنى، المستقبل، عندها يدخل السجناء بدوامة من التخيلات اللامتناهية، حيث يقلبّون كل احتمالات النجاة، وكل أسباب الشرور، وكل أصحاب الفساد والجرائم، ولكن السجن لا ينتهي، والمحاكمات معلومة النتائج سلفاً ومعدة بعناية، فتسود الرؤية السوداوية والموت المؤجل، حيث الشعور بالهزيمة واللاهوية، والفراغ، ورغم الشعور بالعقل أحياناً، إلا أنه يصبح واقعياً، الغائب الفعلي. تقع الرواية في 268 صفحة.

في حرية العشق والزواج

■ وجد العودة

تمهيد

لا يـزال أهلنـا يشـعرون بامتلاكنا حتى اليوم..

منذ بـدأ نظـام الملكية وسُـوِّرت الأراضـي وعـمّ التوريـث كحـلّ لامتداد الأمـلاك وكطريقـة حيـاة وحتـى اليوم يتصرّف معظم الأهل مع أبنائهم بعقلية الملكية والوصاية بالإضافة إلى الرعاية، وتنتقـل وصاية الأهل على أبنائهم غالباً إلى وصاية الزوج على زوجته، خاصة في المجتمعات التـي تُعدّ المرأة فيها "ضلعاً قاصـراً" أقل شـأناً لا في العـرْف والعادة والامتـداد التاريخـي الطبيعـي فقط بل في القانون والمقدّسـات السائدة كذلك. لـذا توجّب عـلى الأهل تركيـز الوصاية على ابنتهم أكثر منها على ابنهم إلى أن يستقبلها زوجها ويحمـل وصايته عليها بدلاً منهـم، وتوجّـب عليهم كذلك اختيار "العريـس" بعنايـة ليناسـب تحمّل تلك المسـؤولية والوصايـة. ولذلـك الاختيار شـروط عديدة لكل منها أهميته وسياقه التاريخـي المـؤدّي لـه. فبالإضافـة إلى اقتـدار "العريس" المـادّي المطلوب في معظم الحالات فـي مجتمعات كمجتمعنا الفقيـر والمنهوب، هناك شـروط تتعلّق بالانتماء تختلف من حالة إلى أخرى، وقد تجتمـع أحياناً، منهـا الانتمـاء "الوطني" ومنهـا القبلي أو العائلـي، ومنها الدّيني أو الطائفي.. لكن النزعة البشرية للتحرر تغلـب كل تلـك القوالب أحيانـاً، وينفلت القلـب مـن عقـال الانتمـاءات والنظـم والأعراف والقوانين والعادات والسـياقات التاريخية والثقافية والاقتصادية، ليهوى حسـب طبيعتـه الأصيلـة غيـر المنتمية إلـى أيّـة فئـة أو ديـن. وتـزداد فرصـة ذاك الانفـلات كلّمـا ازداد تطوّر وسـائل الاتصال والإختـلاط الثقافي الناتج عنه، ويـؤدي غالباً حين يحدث إلى شـقاق في عائلـة الفتـاة العاشـقة ونبـذ ورفـض لهـا، أو مشـكلات قـد تطول زمنـاً حتّى موت الأهل، وقد تشـتد عنفاً حتّى: قتل الفتاة.

أمثلة وحكايات عن عشق ممنوع:

الأمثلة عديدة، وأينمـا ذهبنا وجدنا حـالات تُمنع فيها الفتاة عـن الزواج بمن تهوى.. وسـأنتقي ثلاثة أمثلة من الواقع ربّما تعبّر أكثر من أي شـرح عن واقع لا زلنا نعيشه

الأولى: لينا

كانت في أوائل عشـرينياتها تحاول مسـاعدة عائلتهـا وتخفيـف الضغـوط الماديـة عنهـا بـأن عملـت فـي مجالات مختلفـة اسـتطاعت بها أن تسـتقل من ناحية المصروف الشخصي، بل وتساهم فـي مصـروف العائلـة أحيانـاً، حيـن وقعـت عيناها على شـاب لطيـف مُحبّ هوَتـه فـي أشـهر. وحين لاحظـت أمّها (مالكـة قـرار العائلة في حالتهـا) غيابها المتكرر عـن البيت حتّى سـاعة متأخرة، بـدأت بمحاصرتها باللطـف واللين حيناً، وبالغضب والقسوة أحياناً، وما ان كشفت علاقتها بالشـاب منعتها عـن الخروج من البيت وحتى عـن العمل، لأنها لم ترَ في الشـاب صهراً مناسـباً، وقرّرت تزويجها من قريبها: سائق التاكسي الذي تعرفه، فهـو أكثر كسـباً، وأقـرب نسـباً.. هربت الفتـاة، التي اعتادت صداقة أمّها والقرب منها والبوح لها في كثير من الأحيان، من البيت وساعدها الشـاب وأهله وأصدقاؤه فـي ذلك.. ومـرّ الاثنان بظروف قاسـية منها دخول كليهما السجن حين "ضُبطا" فـي سـيّارة ليسـت ملـك أحـد منهمـا (استعارها الشاب من معلّمه في الورشة) ولم يخرجهمـا أو يحـاول تخليصهما من ابتـزاز أجهـزة الشـرطة الفاسـدة أحدٌ، فحين وصلت أمّها – الوحيدة القادرة على إخراجها دون مشـكلات – قسـم الشرطة رمت ببطاقة ابنتها الشخصية إلى ضابط القسـم الـذي احتجزها وأعلنـت تبرّؤها منها.. تُوّجت هذه القصة بزواج الاثنين بعـد تعاطـف معلـم الورشـة وبعـض الأصدقـاء والقاضـي الشـرعي معهمـا، وتمّـت مصالحـة صعبة للغايـة مع أهل الفتاة بعد ما يزيد عن سـنة من زواجهما وبالتزامن مع قيام الثورة السورية.

الثانية: سارة:

التقت سـارة بمحبوبهـا في الثلاثين من عمرها، في بلد غير بلدها وغير بلده، هي القادمة من بلاد المغرب العربي، وهو مـن بلاد الشـام، بعد سـنوات طويلة في المهجـر "بلاد الخليج العربي" اسـتطاعت خلالها تكوين اسـتقلالية ماديّة حاسمة، ومدّخرات كافية لتستقل تماماً عن أهلها من تلك الناحية، ولم يكن سهلاً عليها أن تجد الشّـاب المناسـب لها قبل أن تلتقي هـذا الشـاب. وامتـدّت قصتهمـا لأكثـر مـن سـنة قبل أن تقـرّر معـه الارتباط، وتصطـدم بمفاجـأة غيـر متوقعـة مـن رفض أهلها لهذا الزواج دون السـؤال عن أية مواصفات لذاك الشـاب، ودون رؤيته، وإنّما فقط بسـبب علمهم بعدم انتمائه إلى بلدهـم، كان رفضاً قاطعاً أدّى إلى تعقيـدات كثيـرة بسـبب القوانيـن التي ترفض تزويج الفتاة "البكر" دون موافقة "ولـي أمرها" مهما بلـغ عمرها، القوانين المطبّقة فـي كل من بلده وبلدها والبلد الـذي التقيا فيـه. بالطبـع توجـت هذه القصة بـزواج الاثنين كذلـك، ولكن بعد صعوبات عديدة كالسّـفر إلى بلد أجنبي يقبـل زواجـاً مدنيـاً دون موافقـة أهـل الفتاة، وبعد مخاطر ومخاوف كالتهديدات التي وصلتها مـن أخيها بالقتل.. ولا يزال الزوجـان يحـاولان مصالحـة أهلها حتى الآن دون جـدوى، ولا تـزال تلك القطيعة تنغّص الحياة عليهما.

الثالثة: مها:

لطالما كانت مها فخر أبيها وعائلتها، مهـا الطالبـة الذكيّـة المتفوّقـة التـي انتقلت من نجاح إلى نجـاح، من انتهائها مـن المرحلة الثانوية بأعلى معدّل في منطقتها، إلـى التفـوّق فـي جامعتهـا وحصولها عـلى أعلـى الدرجـات أيضاً، اختلطت مها المتميّزة بمجتمع العاصمة، وشـبابها، ورغم اتّسـاع الفرص لم يجد قلبهـا مـا يهـوى إلّا شـابّاً واحـداً، لكـن ولسـوء حظها كان لذلك الشّـاب مشكلة صعبـة تعلم هي مـدى خطورتها، وهي أنّـه لا ينتمي إلـى طائفتهـا (الدرزيّة)، وإذ يصنّـف الـدروز مـن أكثـر الطوائف تشدداً في هذه المسـألة، عرفت أنّ ذلك لن يكـون سـهلاً، لكنّها أملت فـي أبيها الـذي كان يحبّها حبّاً جمّـاً، وخاب أملها، وكان عليهـا أن تختار بين عائلتها وأهلها وأهل منطقتها، وبين من تهوى، كما كان عليهـا أن تخاطر باحتمالات القتْل إذا تمّ ذاك الـزواج، لكنّه تمّ – كالعادة – وظلّت تعاني لسنوات طويلة من فقدان علاقتها مع أهلها ونبذ طائفتها وأهل منطقتها لها، وتهديـدات متفرّقـة بيـن الحيـن والآخر..

خلاصة وخاتمة

لتلـك القصّـة الأخيـرة - الشـائعة - دلالـة كبـرى، خاصّـة فـي مجتمعنـا السّوري ذي التعدد الكبير في الانتماءات، ولا يقتصـر ذلـك التشـدد فـي انتمـاء "العريـس" الطائفـي على الـدّروز، بل يمتـد إلى معظـم الطوائـف والانتماءات الأخـرى، ولا يبـدو ذلك مرتبطاً بمسـألة "الشـرف" والأخلاق بالضـرورة، بل يتبع تشريعات تختلف من معتقد إلى آخر على خلفيات اقتصادية فـي العمق، قد تطفو بوضوح على السـطح فـي أمثلة كالغجر "القربـاط"، إذ تعمـل النسـاء عندهـم بانفتاح كبير ولكن تتبـع أحد الذكور في عائلتها التـي تعتاش من عملها، ولا يمرّ قرار الزواج دون موافقتهم، ويشترط أن تتـزوّج من الغجر أنفسـهم، أو يمكن أن يتـم التوافق علـى تزويج الفتـاة أحياناً، مقابل مبلغ ماديّ كبيـر في حالة الزواج من غيرهم.

تنتهـي معظـم الحـالات الممنوعة بالزواج رغماً عـن الأهل أو رضوخ الفتاة إلـى الزواج ممن يرغـب الأهل ولا ترغب هـي. وفـي حـالات نـادرة ومتطرفة في وقتنا الحالي تنتهي بقتل الفتاة، وفي كل الحالات تكوّن النتائج سـلبية أو قاسية أو كارثيّة بسـبب انغلاق الفئات المجتمعية على بعضها، وأعتقد أنه آن الأوان لتغيير ذاك الانغلاق والثّورة عليه، انغلاق يحدّد للشـباب هواهـم وعشـقهم، ويزيد من عزلـة الفئـات فـي المجتمـع الواحد عن بعضها، آن الأوان للانتقال من "التعايش الأهلي" المزعوم بيـن مكوّنات المجتمع السـوري، إلى الاندماج الحقيقـي بينها. ومسـألة الزواج بيـن الطوائـف والفئات المختلفة ركن أساسـيّ مـن أركان ذلك الاندمـاج، يسـاهم فـي إزالـة الحواجـز والعزلـة الاجتماعيـة بينهـا، خاصّة في زمـن يُـثقل العنف والقتل والانقسـامات فيـه كاهـل المجتمـع برمّتـه، وتـدقّ مخاطـر الانقسـام والصـراع والاحتراب الأهلي والطائفي أبوابه.

نصري الصايغ: القاتل إن حكى - سيرة الاغتيالات الجماعية

■ ياسر مرزوق

كتابنا اليوم "القاتل إن حكى" للصحفي الأديب نصري الصايغ، الذي يتعامل مع السياسة شعراً ونثراً وقضية، والمنتمي إلى الحرية السياسية والشاعرية أولاً وأخيراً، المتحيز دائماً لكل حبة تراب وإنسان.. ابن بيروت البار ببيروت والوطن العربي، المؤمن بطائفة اللاطائفية وسياسة الحرف المشع كالشمس.

محلل سياسي، أديب عربي، صحفي وشاعر أول من نزع شعار العادات والتقاليد الواهية ونادى بجرأة لقيم الحق، علماني لا يتستر على هفوات العلمانيين، له عدة دراسات أدبية، ومؤلفات كثيرة منها: لست لبنانياً بعد، حوار الحفاة والعقارب، وطن وعصافير، بولينغ في بغداد، أول الموت.

يحاول كاتبنا أن يجد معادلة لقراءة الواقع المتشظي في لبنان. ليس لبنان الذي حسب أن جراحه التأمت بعد اتفاق الطائف عام 1990 والذي أنهى حرباً بين الطوائف، امتد أوارها لخمسة عشر عاماً من 1975 وحتى 1990، ولكن لبنان الذي بدأت تتخلق فيه هذه الآونة، بذرة القتل من جديد. لبنان الذي ينهض - بعكس العنقاء - من رمادٍ نائم إلى رمادٍ يصحو من جديد.

يقول الصايغ: كيف يشفى مجتمع من حروبه الأهلية؟ كيف يخرج من منطق الفتنة إلى رحاب السلم الأهلي؟ ذاك كان هاجسي عندما كتبت «القاتل إن حكى» فلبنان بلد تتناوب عليه حروب داخلية منذ أكثر من مائة وسبعين عاماً، ولن ينسى تجارب دول أخرى انضمت إلى رسم خارطة الشفاء من الحروب الداخلية.

أول الطريق أن يصل المجتمع إلى مستوى الاعتراف بما ارتكبته قياداته وكوادره، أو أن يصل إلى مستوى وصف ما جرى واعتبار ذلك من صنع يديه وليس من صنع الشياطين في الخارج، لم يعترف بعد أحد في لبنان بما ارتكبته الفتنة من مجازر من تهجير من خطف على الهوية، من سيارات مفخخة من اغتيالات من سرقات ونهب، من اغتصاب من تدمير وتعذيب. ثلاثة سجلوا بعض ما ارتكبوه واحد منهم ليس نادماً على ما ارتكبه في «السبت الأسود».

قلت: سأعترف عن الجميع. سأكون القاتل النموذجي وأتبنى الاعتراف عن القتلة علني بذلك أضع اللبنانيين أمام أعمالهم المتوحشة ضد أنفسهم، ليكون هذا العمل أول الطريق، على أن يلي هذا الاعتراف الاعتذار من القتلى والمخطوفين وأقاربهم وأولادهم وأن يعوضوا عليهم مادياً ومعنوياً وأهم تعويض معنوي هو الاحترام الإنساني والامتناع عن استعمال العنف.

لكن لبنان لم يصل بعد إلى هذا المستوى لأن نظامه الذي احتضن هذه الحروب لم يتغير بعد، وما زال أسير حيوية فائقة لاستعادة لغة العنف وتصريف أفعالها قتلاً وتهجيراً، القاتل الذي حكى في الكتاب أظهر أن الجحيم في متناول اللبنانيين غداً.. إلا إذا؟!..

أما كيف يشفى لبنان من حروبه السابقة، ومن هاجس حروبه القادمة؟ أو، كيف لا يستعجل الدخول فيها لتكرار القتل والذبح والتعذيب والسحل والخطف والتهجير والتكفير وتوريث الخراب؟ كيف يحصل على سلامه وهو لا يزال يدافع عن حروبه السابقة؟.. لا جواب حتى الآن.

ويؤكد الصايغ أن اللبنانيين لم يخرجوا من الحرب بعد. احتفلوا جميعاً بإلقاء المسؤولية على الآخر. أقرّوا بالإجماع أن ما قاموا به، لم يكن إلا دفاعاً عن النفس. فالمعتدي هو الآخر... وإن الكلام الجميل، عن الوحدة الوطنية، والسلم الأهلي، والتوافق، ليس سوى مراهم لغوية لحالة عنف مستعصية... لم يتسنّ بعد، للبنانيين، أن يرسموا خريطة طريق ثقافية، سياسية، إنسانية، أخلاقية، للخروج من الحرب. لقد خرجوا منها خاسرين، وسيعودون إليها بسبب إدمانهم الطائفي والتعصبي.

كما يحصي الصايغ افتراضياً وحسابياً ما لا يقل عن أربعين ألف قاتل وثمانين ألف خاطف في الحرب اللبنانية: ثلاثة أشخاص منهم فقط اعترفوا بجرائمهم ودوّنوها. فيما أثبت هو الكثير منها، داقاً ناقوس الخطر لأننا نعيش في مجتمع لا يزال فيه عشرات آلاف القتلة والمجرمين طلقاء. بل إن منهم مَن يتبوأ مناصب سياسية واجتماعية وتربوية، معتذراً باسم جميع القتلة من القتلى وذويهم وأولادهم.

لكن لماذا نبش صور الحرب الآن؟ يجيب الصايغ في المقدمة بأنّ الكتاب هو جزء من حملة «كي لا تتكرّر الحرب»، ويوضح في سياق آخر: «إن إعادة تصنيع الماضي مهمة غير تاريخية. إنها مهمة ثقافية وسياسية، يتصدى لها مفكرون وكُتّاب وشعراء وقادة. إن تصنيع الماضي لتقديمه بوعي نقدي، لا بعقل نسخي، هو مهمة مَن يهجسون بمستقبل مختلف».

على رغم أنّ المؤلف يعترف بأنّ أسلوب التعاطي مع كل الشهادات لم يكن منهجياً «لأني فضّلت إراحة القارئ، فلا أثقل عليه بمشاهد القتل والذبح والسفك»، تطالعنا بين السطور مشاهد مروّعة وتفاصيل «موثقة»: «أنا الضحية والجلاد أنا» لمَن ذُفذ السبت الأسود، وشهادة رجينا صنيفر في كتابها «J'ai Déposé les armes» وشهادة المسؤول في «القوات اللبنانية» أسعد الشفتري، وصولاً إلى شهادات مَن بقي من ذوي الضحايا في صبرا وشاتيلا.. وشهادات موثّقة في كتابَي روبرت فيسك «لعنة وطن» و«لبنان بلد شهيد». وقد وردت أيضاً بعض الحوارات التي أجرتها منى سكرية مع مقاتلين من مختلف الأحزاب. وكان بمقدور المؤلف «اكتشاف» قتلة آخرين، إلا أنه أحجم عن ذلك لسبب أو أسباب في نفسه.

السؤال المحيّر الذي يواجه قارئ نصري الصايغ هو حماسته الكبيرة لمقاومة الظلم، وإن اقتضى الأمر السلاح، على رغم كرهه للقتل والقتال، وإكباره للمقاومة اللبنانية واعتزازه بالإمام موسى الصدر وفكر محمد مهدي شمس الدين وشخصية حسن نصر الله.

يحكي الكاتب عن ظاهرة القناصة التي صاحبت استعار الحرب الأهلية في لبنان في تلك السنوات الصعبة. بين بيروتين: الغربية (السنية) والشرقية (المسيحية)، نمت الظاهرة وكانت معلماً مميزاً لحرب حرقت لبنان حريقاً أشبه بحرائق الحضارات التي بدأت في التاريخ باجتياح جنكيز خان لبغداد.

"كان القناص يختار من يرغب، من تقع عليه شهوته. حدثني ذو اختصاص مرة، أن أحد القناصين، كان يختار ساعات الليل ليقتل طريدته. فيتهيأ للصيد عندما تنتابه نوبة التثاؤب. ينتظر مع فوهته. وعندما يسقط أحد المارة كالكلب الشارد، برصاصة من بندقيته، يأوي إلى زاوية وينام.. كان لا يهنأ بنوم، إلا بعد قتل أحدٍ ما، لا يعرفه. كان اللبنانيون يشبهون رؤوساً قد أينعت، والحجاج اللبناني جمعٌ بصيغة مفرد يطارد الرؤوس ويقطفها.. " ص149.

أما عن الاعتذار، فيقول الصايغ من يجد الجرأة ليعتذر لنفسه قبل أن يعتذر للآخرين؟ قال الصايغ إننا نهشنا لحمنا بأظافرنا، وبأنيابنا. المغارفة أن المعتذر هو نفسه المقتول. القاتل يمشي على قدميه حياً بين أبنائه وأهله. يقول الصايغ في عملية حسابية بسيطة، أنه: "أربعون ألف قاتل. وإذا كان قد قتل 10، فإن عدد القتلة يتضاءل إلى عشرين ألفاً. أين هم هؤلاء القتلة؟". إذا كان عدد المخطوفين عشرين ألفاً خلال سنوات الحرب الأهلية في لبنان، وإذا كان كل مخطوف يحتاج إلى أكثر من أربعة أشخاص لخطفه، فإن عدد الخاطفين يصل إلى 80 ألف خاطف، وقد يكون القتلة خاطفين، وقد لا يكونون. باختصار، يسأل الصايغ: "أين هم هؤلاء الخاطفون؟.. إنهم بيننا في معظمهم، أحياء يرزقون. تزوجوا، أنجبوا، توظفوا، سافروا، تخرجوا من جامعات، تاجروا، رقصوا، تملكوا ودرسوا، فيما أحبابنا، آباؤنا وأمهاتنا وشبابنا وبناتنا وأولادنا، تحت التراب".

ويضيف الصايغ: "ولأن اللبنانيين يبتعدون بسرعة طائفية ضوئية، عن جادة الديمقراطية فليس لهم أن ينتظروا أحداً من القتلة والمجرمين أن يعتلي منصة، أو يحضر لقاء، يصار فيه إلى الاعتراف بما ارتكب في الحرب من جرائم. ويبدو هذا أمراً طبيعياً. وشواهد التاريخ كثيرة".

في الصفحات الأخيرة يكتب نصري، وقد بلغ به اليأس مبلغاً لا رجعة بعده لأمل: "عن أيّ شيء تدافع أيها المثقف؟ قُم، لنحرق الكتب، ونتبع قافلة الجنون..".

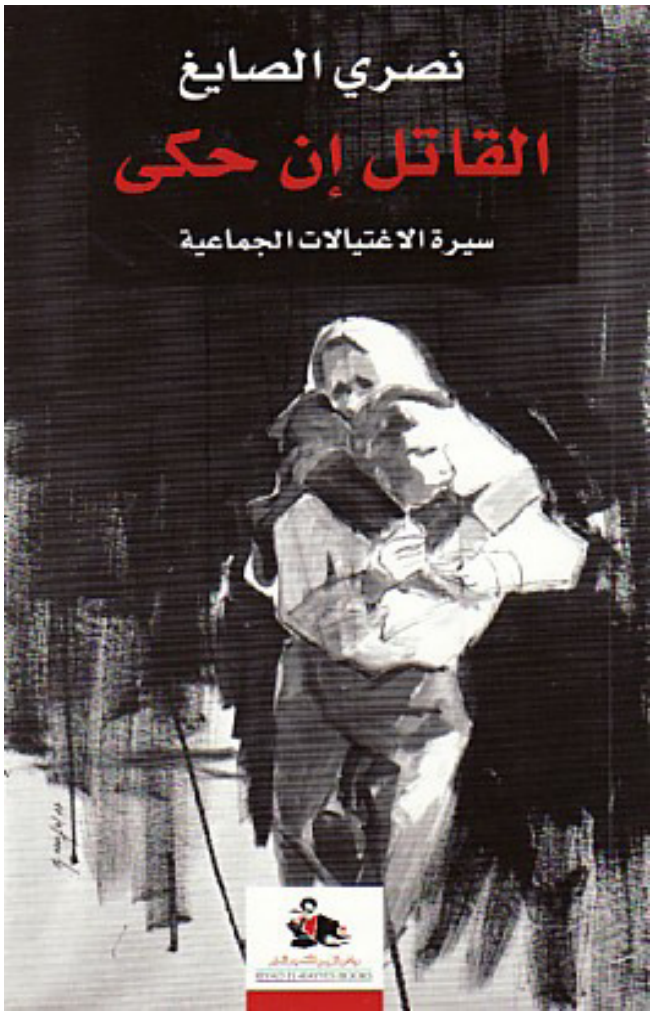

عدنان المالكي 1919 - 1955

■ ياسر مرزوق

ولد "عدنان بن محمد شمس الدين بن عمر بن إبراهيم المالكي"، في دمشق عام 1919 لعائلة دمشقية عريقة وفي عام 1920 خرج والده وشقيقه الأكبر "فؤاد" للمشاركة مع المتطوعين في معركة ميسلون.

درس في مدارس دمشق ونال الشهادة الثانوية عام 1937، والتحق في نفس العام بالكلية العسكرية في "حمص" مستفيداً من المعاهدة السياسية التي أبرمتها "سورية" مع "فرنسا" عام 1936 والتي تنص على تدريب القوات السورية وتسليمها أمرة الجيش فيما بعد، وتخرج عام 1939 برتبة "مرشح ضابط"، ورفع إلى رتبة "ملازم ثاني" في عام 1940، وكلف بتدريب الجنود والرقباء، ثم عين مدرباً في "الكلية العسكرية"، وعرف عنه في تلك المرحلة التجرد والتفاني في أداء الواجب العسكري.

استقال "الملازم ثاني عدنان المالكي" عام 1945 من خدمة القوات الخاضعة لأمرة القيادة الفرنسية والتحق "بالقوات الوطنية" نواة "الجيش العربي السوري" التي شكلتها "الحكومة السورية"، واشتبكت خلالها مع القوات الفرنسية قبل الاستقلال عام 1946، وبعد الاستقلال وقع الاختيار عليه، وكان عضواً في لجنة استلام القطع العسكرية من "السلطات الفرنسية"، وكرم "الملازم عدنان المالكي" بمناسبة جلاء آخر جندي فرنسي، وكان أول ضابط يحمل العلم السوري في "الاستعراض العسكري" الذي أقيم بهذه المناسبة يوم 1946/4/17.

عام 1947 عيّن "المالكي" مديراً لأول مدرسة عسكرية لتدريب وتخريج الدفعات الأولى والكبيرة من "صف الضباط"، الذين كانت الحكومة الوليدة بحاجة لهم لاستكمال عداد الجيش السوري الوليد.

كما دأب المالكي على تعريب الأنظمة العسكرية لتدريسها لطلاب المدارس العسكرية، وقام مع زملائه بتأليف كتاب من ثلاثة أجزاء لتدريسه في "المدارس العسكرية"، ويعد كتاب "رتيب المشاة" أول كتاب عسكري طبع بعد الاستقلال باللغة العربية.

عام 1948 انتقل "المالكي" من "المدرسة العسكرية" إلى "الكلية العسكرية" في "حمص" كآمر لدورة الطلاب المستجدين فيها، وعند الإعلان عن قيام الكيان الصهيوني، كلفه الضابط الأمر "حسني الزعيم" بقيادة سرية للمشاة، والسيطرة على تلة تدعى "تل أبو الريش" كأول مهمة له على الجبهة الجنوبية، وكانت التلة تطل على مستعمرة صهيونية سيطر عليها جنود سوريون بقيادة المقدم "محمود بنيان".

خلال تنفيذ هذه العملية أصيب المالكي وأسعف إلى "دمشق" وخضع لعملية في رأسه لإخراج الشظايا المتناثرة من جسمه ولقب بعد نجاح هذه العملية "بالشهيد الحي"، ولم تكد جراحه تلتئم حتى عاد للمشاركة بدعم "جيش الإنقاذ" بقيادة "فوزي القاوقجي"، الذي حوصرت قواته في منطقة "الجليل الأعلى"، فدخل "المالكي" عبر الأراضي اللبنانية واستطاع فك الحصار وإنقاذ "جيش الإنقاذ".

وأثناء عودته سجل "المالكي" نصراً عسكرياً جديداً، فقد تعرض الفوج الذي يقوده للحصار من قبل الجيش الصهيوني وخشيت القيادة العسكرية أن يقع جنود وضباط الفوج في الأسر، ودام الحصار الذي ضربته القوات الإسرائيلية عدة أيام وليال، وكانت المفاجأة أن "الرئيس المالكي" - "رتبة رائد" كما تسمى اليوم- استطاع أن يكسر الحصار ويعود بالفوج سالماً دون وقوع أي خسائر في الأرواح.

استُقبل "عدنان المالكي" في "القصر الجمهوري" استقبال الأبطال، وكان في مقدمة المهنئين "رئيس الجمهورية" و"وزير الدفاع" وعدد كبير من ضباط القيادة و"الأركان العامة"، وحاز على عدة أوسمة تقديرية، وبلغت عند نهاية مسيرته الغنية سبعة أوسمة هي: "وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى"، "وسام الاستحقاق اللبناني"، "الوسام الحربي"، "وسام جرحى الحرب في سورية"، "وسام فلسطين التذكاري"، "ميدالية فلسطين التذكارية"، "وسام الكوكب الأردني"، وأشرفها "وسام الشرف العسكري" بعد استشهاده.

عام 1950 رقي المالكي إلى رتبة "مقدم" وتسلم "إدارة الشعبة الثالثة" في "الأركان العامة"، وهي الشعبة التي تختص بشؤون التدريب و"العمليات العسكرية"، وفي عام /1951/ أوفد "المقدم عدنان" إلى "فرنسا" من أجل "الدراسة التخصصية" في "المدرسة الحربية العليا في باريس"، وكان إيفاده في تلك المرحلة يأتي من قبل الزعماء والجهات المتصارعة على السلطة، للتخلص من مواقفه الواضحة إزاء الأحداث الجارية.

عاد المقدم "المالكي" إلى "دمشق" وأسندت إليه رئاسة "تفتيش الجيش والقوات المسلحة"، وبعد أن اصطدم مع العقيد "أديب الشيشكلي"، قام "الشيشكلي" بتسريحه وأدخله مع عدد من الضباط الوطنيين إلى "سجن المزة"، وبقي فيه سبعة أشهر يعلم زملاءه معنى الصبر والإصرار، وبعد استقالة "الشيشكلي"، أعيد "المالكي" إلى الخدمة في الجيش، ورقي إلى رتبة "عقيد"، وأسندت إلى "العقيد الركن عدنان المالكي" "رئاسة الشعبة الثالثة"، عام 1954.

وخلال هذه الفترة حاولت جهات عدة جر الضابط الواعد إلى تياراتها السياسية، ولكنه رفض إدخال نفسه أولاً والجيش ثانياً ضمن التقسيمات السياسية، مع دعمه للقوى والأحزاب الوطنية والتقدمية، وبعد فشل الأحزاب والتحالفات الخارجية من تهميش العقيد "المالكي" أو تجنيده لخدمة أهدافها الرخيصة، عمدت هذه الجهات إلى التخطيط لاغتيال "العقيد المالكي" ووضع حد لمسيرته المشرقة.

يوم الجمعة الواقع في 1955/4/22، اغتيل "العقيد عدنان المالكي" أثناء حضوره مباراة لفريق "الجيش السوري" و"خفر السواحل المصري".

عن مذكرات "أكرم الحوراني" أنقل ما أورده عن حادثة اغتيال المالكي:

"في صبيحة يوم الجمعة 22-4-55 سافرت إلى حلب، وكانت صحة أخي قد ساءت، ولم أكد أصل إلى المستشفى حتى قيل لي: إن هاتفاً يطلبك من دمشق، وفي دمشق كان صوت زوجتي المخنوق بالبكاء يقول لي: لقد اغتيل عدنان. لم أسألها عن القاتل، كان الجو بكل ما فيه من تحرش وتحديات يشير إلى الجهة التي ارتكبت جريمة الاغتيال. وتابع الصوت المخنوق يقول: لقد اغتيل بينما كان يشهد مباراة لكرة القدم في الملعب البلدي، وفي غرفة من غرف المستشفى كان أخي واصل الضحية الأخرى يعاني سكرات الموت.

وقفت صامتاً أمام الموت: عدنان الذي استشهد، وواصل الذي يحتضر، وفي نفسي تتابعت الذكريات واختلطت الصور. وبعضها كان بعيداً يعود إلى الطفولة. تذكرت يوم رجوت شقيقي عبد الحليم وواصل أن يأخذاني معهما لأحارب الفرنسيين في ميسلون وكيف نهراني لأني ما أزال صغيراً، كان عبد الحليم صغيراً لا يتجاوز الثانية عشرة، وكان واصل أصغر منه بسنة واحدة، تخيلته عام 1945 عندما كانت حماه المدينة الوحيدة التي استطاعت ثورتها أن تدحر الفرنسيين، تخيلته حاملاً بندقيته وذاهباً إلى الاستشهاد مع الذاهبين. تذكرت أيام الطغيان عندما كان الشيشكلي يعتقل مناضلي الحزب في كل مكان. كان واصل دعامة من دعامات النضال في تلك الفترة، تخيلته صابراً صامتاً متحدياً.

كل تلك الذكريات كانت تتابع في ذهني مختلطة بصورة عدنان.

لهفي عليك يا عدنان. لم يستطع الإسرائيليون أن ينالوا منك في تل العزيزيات وبقيت رغم جراحك، صامداً مرفوع الرأس تقاتل. لم يستطع طغيان الشيشكلي ولا سجونه أن تنال من إيمانك بالحرية والديمقراطية وبقيت مرفوع الرأس تقاتل. لم تستطع محاولات عملاء الاستعمار والأحلاف أن تثنيك عن إيمانك بالوحدة والتحرر وبقيت مرفوع الرأس تقاتل، وها هم العملاء يغتالونك برصاصة غدر.

لم أستطع أن أتصور عدنان ميتاً، كانت صورته تلح علي مشرقة ضاحكة، وكان صوته الجهوري الواثق داوياً في أذني. لم أقض الليلة في حلب، كانت سورية في خطر، وكانت المؤامرة ماثلة للأعين وكان الاغتيال بداية لها.

عدت إلى دمشق التي كانت تغلي بنيران النقمة والغضب، وتجلى ذلك في موكب تشييع الشهيد عدنان، موكب الحزن الذي لم تشهد دمشق مثيلاً له منذ أن شيعت شهيدها فوزي الغزي، لم أشهد الموكب، ولم أسر في جنازة عدنان ففي حماه كان شهيد آخر قد جيء به من حلب، وكان علي أن أسير في موكب آخر من مواكب الاستشهاد".

هز اغتيال المالكي أعماق الجماهير الشعبية، وقد تجلى ذلك في دموع عشرات الألوف من الجماهير الشعبية الباكية التي شيعت جثمانه، وفي المظاهرات الطلابية والشعبية التي عمت سورية وفي سيل البرقيات التي أرسلت إلى الحكومة، وفي القصائد التي قيلت في رثاء الشهيد ومنها قصيدة الشاعر شوقي البغدادي من رابطة الكتاب العرب وكانت بعنوان "عرس عدنان" لأن الشهيد

الملازم المالكي أول ضابط يرفع العلم السوري

كان قد عقد قرانه قبل أيام قليلة من اغتياله، وجاء في القصيدة:

أصحيح جف الهوى والحنان
وأمحى من عيونك العنفوان
أصحيح ألا ضحكة بعد ترجى
أو حديث مجلجل رنان
أصحيح وأنت بعد عريس
أطفئ النور وارتمى الإيوان؟
فالقناديل واجمات تدلت
مطفآت والزغردات الحسان
وثياب العروس بيضاء كالشمع
ودار الحبيب إذ تزدان
أصحيح هذا؟ أحق وجوم
الناس حتى لتجمد الأجفان
أين عرس الشباب لم يرتفع
صوت ولا أرهفت آذان
أترانا في مأتم؟ أي صدر
لم تثر في قراره النيران
هم أرادوه مأتما وأردنا
مهرجانا للنصر لا يستهان
وغدا يا أخي تطل علينا
فإذا العهد جنة والمكان
وإذا أنت مطمئن قرير
وسوانا المفجع الثكلان.

استنكرت "دمشق" والمحافظات السورية والدول العربية عملية الاغتيال الغادر، وشيّعته عشرات الآلاف من الجماهير إلى مدفن العائلة في "حيّ المهاجرين"، ويرقد جثمانه الطاهر اليوم في متحف الساحة التي حملت اسمه "ساحة الشهيد عدنان المالكي"، وكان لاغتيال "المالكي" وقع كبير على الحياة السياسية في سورية، وتبادلت القوى الاستعمارية أصابع الاتهام في اغتياله.

قالوا في تأبين الشهيد "عدنان المالكي":

عميد الأدب العربي الدكتور "طه حسين": «لم يصدع استشهاد هذا الفقيد العظيم قلوب الشعب السوري وحده، ولكنه كان خطباً جليلاً صدع قلوب الشعوب العربية التي تخلص للعروبة، وتؤمن بها وتقيم حياتها على التضامن العربي الخاص المتين النقي من كل شائبة».

الرئيس "شكري القوتلي": «لقد قضى شهيدنا في سبيل وحدة الأمة العربية ومجدها وبذل روحه لهذه الغاية المثلى فحقق الله لنا هذه الأمنية وهيأ لنا ما نصبو إليه من وحدة وكرامة».

الرئيس "جمال عبد الناصر": «قتل الضابط "عدنان المالكي" بواسطة الاستعمار وأعوان الاستعمار لأنهم كانوا يعتبرونه خطراً على أهدافهم الاستعمارية».

سعادة الشيخ "عبد العزيز بن زيد – السعودية": «هز مصرع العقيد الركن المجاز "عدنان المالكي" العرب في أقصى أمصارهم كما راعهم في أدنى الأقطار هم، فشملهم الأسى عليه».

الشيخ المجاهد "محمد الأشمر": «هالني مصرع البطل – وقد شهدت مصرع الكثير من الأبطال- وما كان ليهولني لو أنه قتل بيد عدو غاشم».

أظهر التحقيق القضائي أن "الحزب السوري القومي الاجتماعي" أعد لاغتيال المالكي واستطاع التنفيذ في المرة الثالثة بعد أن فشل مرتين قبلهما، كما أثبت التحقيق أن مجلس العمد كان مجتمعاً في دار "جولييت المير" الأمينة الأولى للحزب في لحظة اغتيال المالكي، وفور تثبتهم من إتمام الجريمة وسريان شائعة انكشاف علاقة الحزب بها لاذوا بالفرار.

قرر قاضي التحقيق اتهام 31 حزبياً بجرائم تستوجب حكم الإعدام منهم جولييت المير، عصام المحايري، كامل حسان، فؤاد شواف، جورج عبد المسيح، أنعام رعد، اسكندر شاوي، سامي الخوري، غسان جديد، عبد الكريم الشيخ، عبد الله محسن، عبد الله قبرصي، أسد الأشقر، جبران صليبي، جبران جريج، سعيد تقي الدين، بديع مخلوف، محمد دبوسي، فؤاد جديد. كما قرر اتهام 9 آخرين بتهم تستوجب عقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة وهم هشام شرابي، طارق اليافي، جميل مخلوف، أمين رعد، زكي نظام الدين.

وجه قرار الاتهام إلى السوريين القوميين تهمة حرق مطبعة الجيل الجديد للتخلص من الوثائق والأوراق والبيانات الموجودة فيها، وقد صدقت محكمة التمييز العليا قرار الاتهام الذي أصدره قضاة التحقيق. بعد نشر قرار الاتهام توجه عصام المحايري من سجن المزة مع بعض رفاقه الموقوفين بكتاب إلى الرأي العام يحمل فيه جورج عبد المسيح وبعض القادة الحزبيين مسؤولية ارتكاب جريمة اغتيال المالكي ويتهمهم بخيانة أهداف الحزب ومبادئه.

وصدر قرار المحكمة - بعد بضعة شهور من المحاكمة- فكان وثيقة كشفت فعل أجهزة المخابرات الاستعمارية في تخريب القوى المسلحة العربية والأحزاب السياسية. وقد أسفر حكم المحكمة عن إدانة المهتمين من السوريين القوميين بمقتل العقيد عدنان المالكي بالأحكام الآتية:

أولاً: حكم بالإعدام وجاهياً على ثلاثة هم: محمد منعم الدبوسي، بديع مخلوف فؤاد جديد وحكم غيابياً على خمسة هم: جورج عبد المسيح وعبد الله محسن واسكندر شاوي وغسان جديد وسامي الخوري. وقد أدين بديع مخلوف ومنعم الدبوسي بجناية الاشتراك والتحريض على القتل، وأدين الباقون بجناية التحريض على القتل، كما أدين عبد الله محسن وجورج عبد المسيح بجريمة التجسس لحساب دولة أجنبية.

ثانياً: بلغ مجموع الأحكام الصادرة على عصام المحايري (18) سنة وخمس سنوات إقامة إجبارية في تدمر وأربع سنوات منع إقامة في دمشق - بالجرائم التالية: 15 سنة أشغال شاقة بجرم التجسس وسنتان ونصف أشغال شاقة لتحريض العسكريين على العصيان وخمس سنوات إقامة إجبارية في تدمر لتحريضه والتآمر على أمن الدولة الداخلي.

ثالثاً: بلغ مجموع الأحكام الصادرة على جولييت المير (18) سنة سجناً و(15) سنة مع الأشغال بجرم التجسس والاستحصال على وثائق يجب أن تبقى مكتومة وسنتان حبس لتشويقها العسكريين على الانضمام لحزب سياسي وخمس سنوات إقامة إجبارية بتدمر لتآمرها على أمن الدولة الداخلي.

رابعاً: كامل حسان (18) سنة حبس (15) منها مع الأشغال الشاقة بجرم التجسس وسنتان لتشويقه العسكريين للانضمام إلى حزب سياسي وسنة لانضمام إلى حزب غير مشروع.

خامساً: حكم على إبراهيم الصواف بالأشغال الشاقة المؤبدة لتدخله فرعياً في جرم القتل مع تجريده عسكرياً.

سادساً: زهير قتلان 12 سنة حبس وأشغال شاقة لتدخله فرعياً في جريمة القتل.

سابعاً: عبد الكريم الشيخ: سنتان حبس لتشويقه العسكريين للانضمام إلى حزب سياسي.

ثامناً: حكم (15) سنة بالأشغال الشاقة بجريمة الاستحصال على وثائق ومعلومات يجب أن تبقى مكتومة كل من: كميل جدع، عبد الله القبرصي، إنعام رعد، محمد يوسف حمود، مصطفى عبد الساتر كامل أبو كامل، أسد الأشقر، مصطفى أرشيد، جبران جريج، سعيد تقي الدين، سعيد شهاب الدين، فؤاد شواف.

تاسعاً: وحكم خمس سنوات إقامة إجبارية بجريمة التآمر على أمن الدولة الداخلي مع الإسقاط من الحقوق المدنية كل من كامل أبو كامل، إنعام رعد، عبد الله القبرصي، محمد يوسف حمود، فؤاد الشواف، مصطفى عبد الساتر.

جنازة عدنان المالكي

عن أطفال ويافعين في ظلال السلاح

■ جمال خليل صبح

- 1 -

لم يكن أحداً ليتوقع بأن منظمة "شبيبة هتلر"[1] البائسة التي أعلن عن تأسيسها في اجتماع الحزب النازي السنوي عام 1926 في مدينة فايمار، ذات التاريخ الثقافي العريق، سوف يكون لها شأن كبير في الفترة اللاحقة من عمر الرايخ الثالث حين استولى الحزب على السلطة في مفارقة تاريخية جعلت أحد المضطربين نفسيا يتربّع على رأس أعلى سلطة في بلاد الجرمان. كان هتلر لا يمل هذيانا عن دور الأطفال واليافعين في التأسيس والمساهمة في بناء جبروت القوة الألمانية العارية التي بشّر فيها في كتابه الشهير مستندا إلى أصول عرقية لا تعرف للمنطق حدودا. بعد عبورها من شبيبة "حزبية" إلى شبيبة "الدولة" ومع تلبّد غيوم الحرب العالمية عشية العام 1939 صدر قانون "الخدمة الإلزامية للشبيبة" الذي ما أن جف حبره إلا وقد كان ما يقارب 8 ملايين طفل ويافع ألماني ونمساوي دون سن الثامنة عشرة، ومن كلا الجنسين ملتحقين بهياكله وملتزمين بنشاطاته التي أصبحت مميتة بعد حين. تلقوا هؤلاء الأطفال واليافعين تربية صارمة ووضعوا في معسكرات كانت أشبه بالثكنات العسكرية رغم وجود بعض النشاطات التي تسمح لهم بنوع من الإحساس بالمغامرة وحب الفضول الشقي. لم تكن نشاطاتهم تقف عند جمع مخلّفات الأسلحة والمساعدة في بعض أعمال الصيانة والبناء، والاضطلاع على صنوف الأسلحة والمثابرة على دروس "فلسفة الأعراق" الخالدة وتعاليم "الدين النازي" الجديد فحسب، وإنما تعدّتها إلى المشاركة في الأعمال العسكرية القتالية واللوجستية، التي كانت تتزايد تباعا مع دخول الحرب أوقاتها الحالكة واشتداد المعارك حول وداخل المدن الألمانية الكبرى. مع الإشارة إلى أن من يشتدّ عوده منهم يتم تزكيته لفرق العاصفة، إحدى أشرس الفرق القتالية الألمانية آنذاك. ومع انتهاء الحرب كان هناك الآلاف منهم ضمن عديد الآلاف المؤلّفة من الجنود الألمان الذين لاقوا حتفهم في ظروف لا تستحق إلا الشّفقة

- 2 -

إن كانت الجبهات قد صمتت وحل سلام ما على الأرض الأوروبية بعد الحرب العالمية الثانية، فإن جبهات وحروب أهلية أخرى قد استهلت في بقاع عديدة من العالم كان فيها انخراط الأطفال واليافعين في "قتال الكبار" يبدو أكثر وضوحا وربما أشد فتكا وعنفا. ففي النصف الثاني من القرن العشرين كانت بلدان مثل مايانمار، السودان، كولومبيا، جمهورية الكونغو الديمقراطية، الفيليبين، جمهورية إفريقيا الوسطى والصومال مجرّد أمثلة على فظاعات كان "أبطالها وضحاياها" إن صح التعبير أطفال ومراهقين، تم تجنيدهم من قبل الأطراف المتحاربة، سواءً كانت حكومية أو معارضة متمرّدة، بالترغيب تارة وبالترهيب تارات. في مايانمار مثلاً تاريخ عريق من الانتهاكات وتجنيد الأطفال وتسليحهم، أما في الكونغو الديمقراطية فحدّث ولا حرج، إذ غالباً ما كان يجبر الأطفال في خضمّ الصراعات المتبدّلة على السلطة على الانخراط في أعمال قتالية وعلى ارتكاب أعمال غاية في الفظاعة والوحشية من قتل وتعذيب واغتصاب، بالمقابل يعرف كل طفل ويافع ما ينتظره تماماً في حال الامتناع أو التردد عن القيام بذلك. ورغم تحسن الأوضاع في مجمل هذه البلدان المفتوحة على الصراعات إلا أنّ الحال بالعموم لمّا تزل على حالها حتى يومنا هذا

- 3 -

في لبنان إبّان الحرب الأهلية برزت ظواهر ملفتة للنظر، كان أبرزها ما بات يعرف ب "أطفال الأر بي جي". ففي حمأة الاجتياح الإسرائيلي البري العنيف التي توّجت بوصول جيش "الهاغاناه" إلى قلب العاصمة بيروت صيف 1982 في حربه المفتوحة ضد تحالف القوى الوطنية اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية آنذاك تم تشكيل وحدات صغيرة من الأطفال واليافعين جلهم من أبناء مخيمات البؤس الفلسطينية التي كانت تسوّر مدن الجنوب والعاصمة وتم تدريبهم على استخدام سلاح فتّاك بالمدرّعات والدبابات هو الأر بي جي. شهادات الضباط والجنود الإسرائيليين العائدين من جهنّم لبنان تواترت عن ظهور فتية من الأطفال المسلحين بين الأحياء وإطلاقهم قذائف مميتة كان أغلبها لا يصيب أهدافه البادية ولكنّها كانت تصيب مخيّلة الإسرائيليين وأفكارهم عن "هؤلاء" العرب في الصميم، بالإضافة إلى تحريضها لبعض أعراض الإعتلالات النفسية، خاصة لدى أولئك الجنود الذين اعترفوا باضطرارهم لقتل هؤلاء الأطفال بلا رحمة تحت ذريعة الدفاع عن النفس الأمارة بالاحتلال والقوة، فظهروا لهم في مناماتهم بعد سنوات طوال وأشبعوهم كوابيس وضلالات غاية في الرعب. لم يكن واضحا آنذاك فيما إذا كان القرار بتشكيل هكذا كتائب أو مجموعات قد اتخذ على عجل من قيادات عليا في ظروف الحصار الخانق التي تعرّضت له القوى الفلسطينية المسلّحة، أم أنه كان شيئا مسبق التحضير، وإن كان هناك الكثير من الأدلّة على أن رئيس منظمة التحرير ياسر عرفات نفسه كان لا يفوّت فرصة للتأكيد على "أشبال الثورة" ودورهم في رفد المقاتلين "عاجلاً أم لاحقا" ورعايتهم بشكل بولغ في تركيزه على الجانب العسكري، وإن اتخذت أشكاله نشاطات ظاهرها "كشّافي" الطابع وباطنها "إيديولوجي" سياسي بحت. حتى أن هناك ما يشير إلى ضلوع القائد العسكري أبو خليل الوزير في تنظيم وتهيئة "أطفال الأر بي جي"، إحدى أكثر المطبّات الأخلاقية التي وسمت وجود منظمة التحرير الفلسطينية الدامي في لبنان.

- 4 -

من لبنان إلى الأراضي الفلسطينية المحتلّة في الضفة وغزّة كانت العدوى تنتقل ولكن بصورة أكثر رمزية وأقل وطأة مع الانتفاضة الأولى التي أفرزت ظاهرة "أطفال الحجارة" في مشاهد لا تنسى عن أطفال ويافعين يمطرون جنود الاحتلال ومدرّعاته بالحجارة في مواجهات دامية اتخذت من أزقّة وشوارع المدن والمخيمات الفلسطينية أثناء الاقتحامات وعمليات التمشيط العسكرية لجيش الاحتلال مسرحا لها. تفجّر الغضب المكبوت تجاه واقع الإحتلال الشرس وبات الأطفال "رموزا" لصمود الفلسطيني في أرضه ومقاومته لسياسة التدجين العنيفة التي يبدو أنها لم يكتب لها النجاح جيلا بعد آخر. في الانتفاضة الفلسطينية الثانية التي أبرزت جانبا مسلّحا من جوانبها كان الأطفال واليافعين أيضا مشكلين لبعض ملامحها فيما لم يعرف عن عمليات تسليح بينهم بالمعنى الواضح للكلمة، فيما بدا ذلك نضجا فلسطينيا وإن تخللته بعض الحالات الاستثنائية من هنا وهناك.

- 5 -

مع الثورة السورية بدأ فصل جديد من الكتاب السوري المعاصر وصلت فيه الأمور إلى نقطة حاسمة، امتشق فيها الثوار السلاح في مواجهات غير متكافئة بعد شهور طويلة من الملامح السلمية التي وسمت الثورة في

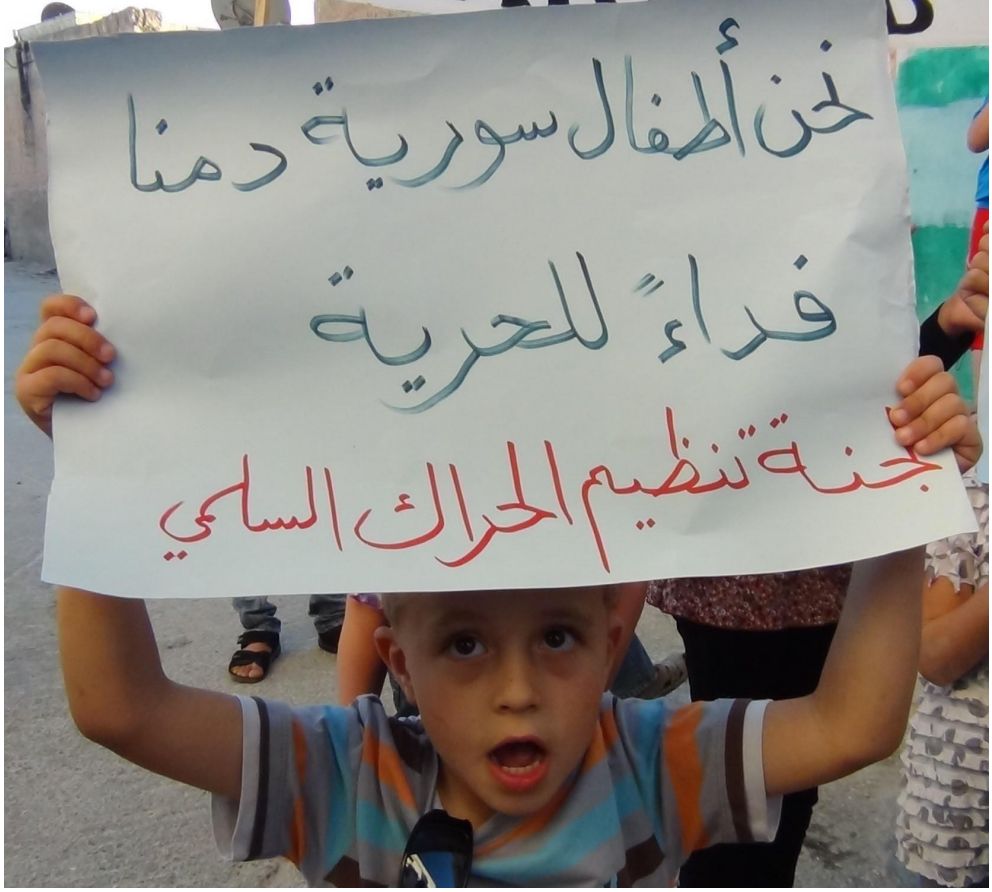

بداياتها الأولى واختمار قناعة عامة بأن العالم لن يحرّك شيئا لوقف آلة القتل التي أديرت من نظام الأسد بشراسة لا تضاهى، لم تميّز بين كبير وصغير. مع ازدياد عدد المنشقين من العسكر وتطوّع المدنيين في كتائب عسكرية مسلحة اتسعت رقعة المواجهات وارتفعت وتيرة القتل والانتقام الكبير من المناطق التي تحتضن أو يتحصّن فيها الثوار، أرادها النظام حرب شاملة لم يوفّر فيها سلاحا بريا أو جويا إلا واستخدمه وبسخاء مدهش. وفي خضمّ أخبار الموت اليومية القادمة من سوريا تحدّثت تقارير لمنظمات دولية عن قيام بعض قوات محسوبة على المعارضة بتجنيد عددٍ من الأطفال واليافعين في مواجهاتها العسكرية مع النظام وقدمت أمثلة وشهادات عن ذلك. أحد هذه التقارير[2]، وإن اعتمد على حالات قليلة جداً، أخطر عن لقاءات وشهادات لأطفال وأحداث من أعمار مختلفة بين 14 و 17 سنة، اشتركوا بعمليات قتالية أو لوجستية لها علاقة بأنشطة بعض القوات والكتائب المناوئة لنظام الأسد وخاصة في مدن ذاقت الأمرّين مثل حمص ودرعا وريف حلب إلى حدٍ ما.

- 6 -

بغض النظر عن عدم وجود قيادة موحّدة للذراع العسكري للثورة السورية حتى اللحظة، لا يمكن القول بأن هناك منحىً أو قرارا عاما بتجنيد اليافعين وقبول تطوّعهم في كتائب الجيش السوري الحر أو غيرها بشكل بادٍ للعيان. هذا الحال لا ينفي وجود بعض الحالات التي وإن ظلت قائمة في نطاق ضيّق ومحصور إلا أنها تدق ناقوس الخطر لما قد تؤول إليه الأمور في حال استمرار الوضع على ما هو عليه، في ظل صمت دولي وعربي عميق على جرائم النظام، أصل كل العلل والشرور. أغلب الحالات من تطوّع يافعين في سن ما تحت الثامنة عشرة للقتال ضد قوات الأسد كانت تعبّر عن حالة من الإحباط الشديد الذي وصلها هؤلاء الفتية خاصّة ممن فقدوا أهلهم قتلا وتمثيلا على يد الأجهزة العسكرية والأمنية للنظام وأحيانا أمام أعينهم. إلا أن بعض الأخبار القادمة من مدينة حلب على وجه التحديد أشارت إلى وجود نوع من المعسكرات تابعة لقوى قتالية مسلحة معارضة، يمكن لليافعين والأحداث الولوج إليها والحصول فيها على تدريب عسكري ودِيني ما. ورغم شيوع حالات لا بأس بها إلا أنه ليس هناك ما ينفي أو يؤكد صحة هذه المعلومات ولا إلى أية جهة تتبع هكذا نوع من المعسكرات "إن وجدت" رغم الإيحاء بوجود قوى "إسلامية-سلفية" الهوى ورائها.

- 7 -

لا يحتاج الموضوع إلى خبراء وأخصائيين في علم النفس حتى نعرف مدى الآثار النفسية والاجتماعية والمجتمعية المدمّرة التي يمكن لظاهرة تجنيد أو انخراط الأطفال واليافعين في أعمال عسكرية قتالية في أزمنة الحروب والصراعات المسلّحة أن تثمر عنها. فالطفولة مرحلة تأسيسية حسّاسة لجملة من القدرات العقلية والعاطفية والسلوكية، تليها مرحلة البلوغ والمراهقة واليفوع، حيث تتشكل وتتحوّر الملامح الأساسية للشخصية. في فترات الطفولة المتأخرة (من 9 إلى 12 سنة) تبدأ مرحلة حاسمة فيما يخص تطور الجانب الأخلاقي عند الطفل. في هذه المرحلة تستكمل ملامح القيم الأخلاقية للصواب والخطأ وتأخذ طابعاً مميّزا يمكن من خلاله التمييز بين الأعمال العنيفة والخيرة وتقييمها في ضوء الأخلاق العامة والمعايير المجتمعية وبشكل يسترشد بالقانون العام كلما كبر الطفل وبات أقرب إلى الولوج في سن البلوغ والمراهقة. هنا يكون مفهوم "الضمير" قد بلغ مدىً لابأس به في الكيان النفسي للطفل. أما في الفترة الفاصلة بين سن الثالثة عشر والثامنة عشر فتتشكل قيّما فردية لها علاقة بالهوية الجنسية والدور المستقبلي للفرد وصورته تجاه نفسه وتصورات الآخرين تجاهه. ينزع المراهقون واليافعون في هذه المرحلة إلى الاستقلال وتأكيد الحضور الذاتي وسط محيط اجتماعي لا يراهم لا أطفال ولا راشدين، محاولين تلمّس ذلك عبر إتحادهم مع أمثلة من الحياة العامة قد تسحر ألبابهم، وتؤمن لهم "قدوة" يستطيعون من خلالها "تجريب" أنفسهم في مواقف تحرّض عليها المخيّلة لتدعيم كيانات الشخصية المتشكلة، غالبا ما يكون العناد والتعارض مع الأهل والمحيط الأقرب هو ما يسم العلاقة الشائكة على دروب التطور النفسي-الاجتماعي العسير في هذه المرحلة.

- 8 -

إن ولوج الأطفال واليافعين عوالم العنف والانخراط فيه على الشكل الذي يتيح استخدام السلاح يعمل على اهتزاز الكيان النفسي والتطور العاطفي والمعرفي بصورة حادّة. ففضلاً عن الحرمان من بناء القدرات العامة التي يسمح بها التعليم المدرسي في بيئات آمنة مثلا، يضطرب التطور العصبي في الدماغ وتتأثر عمليات النضج العصبي في مناطق محددة منه لاسيما في المناطق الجبهية في القشرة وارتباطاته الحيوية بمناطق أخرى من الدماغ[3]. من المعروف بأن الفص الجبهي في الدماغ هو أكثر المناطق التي تستمر في التطور حتى انتهاء فترة المراهقة وبداية الرشد المبكر وهذا لا يحصل قبل سن الثامنة عشرة وإن امتد أحيانا إلى السنة الثانية والعشرين من العمر. هذه المناطق تعتبر "الفيلسوف الحكيم" في الدماغ، تكون مسؤولة عن عمليات ضبط السلوك والتخطيط وحل المشكلات وبعض عمليات الذاكرة والانتباه. تنخرط هذه المناطق في الموازنة بين البدائل السلوكية في مواقف فيها صراع أو تعارض ما وتعمل على انتقاء أفضل المخرجات السلوكية التي تقرّب من الهدف. يرتبط الفص الجبهي عصبيا بمناطق مسؤولة عن الذاكرة العاطفية في منطقة تدعى الوزة[4] التي تعمل كجهاز إنذار بيولوجي لدى الإنسان. يقوم بترويضها من خلال التثبيط والسيطرة على الإشارات القادمة من العقل الباطن حول مواطن الخطر وخاصة عندما يكون الخطر وهمياً ولا علاقة له بالواقع. وهكذا فإن أي عطب تطوري قد يصيب هذه المناطق الدماغية الحرجة بسبب الإغراق من هرمونات الكرب واضطراب عمل النواقل العصبية سوف يكون وبالاً على قدرة اليافع "آجلاً أم عاجلا" على التحكم بسلوكه العاطفي وقدرته على الضبط تجاه المواقف الاجتماعية المختلفة. تحدثنا الأدبيات النفسية على أن معظم الأطفال واليافعين الذين انخرطوا في أعمال قتالية كانوا عرضة لجملة من الاضطرابات النفسية التي تتميّز بعدم القدرة على كبح الاستجابات الخاطئة، إنفجارات الغضب، مستوى ضئيل من تحمل الإحباطات وسهولة الإتيان بعمل عنيف. غالبا ما يسقط هؤلاء الأطفال والمراهقين ذوي الخبرات القتالية ضحايا لشتى أشكال الإدمان من الكحول إلى المخدّرات. والأخطر هو التشويه المعرفي-الأخلاقي الذي يطال كياناتهم النفسية من جهة "شرعنة" العنف واعتباره عملاً موجباً للحصول على الحقوق والأهواء حتى في تلك الفترات التي تخبو بها الصراعات المسلّحة فيما بعد. طبعاً عدا ترشيح الإصابة بأحد الاضطرابات الكبرى وخاصة الشدة النفسية التالية للصدمة وذلك كون هؤلاء الأطفال والمراهقين قد خبروا صدمات نفسية متكررة جرّاء انخراطهم بشكل أو بآخر في أحداث مرعبة وصادمة من مشاهد قتل وتعذيب وأجواء من الرصاص والإنفجارات تبقى محفورة في الذاكرة وتعلن قدرتها على الإيذاء النفسي ولو بعد حين.

- 9 -

وأخيراً، وفيما يخص المثال السوري، نقول بأن جرائم النظام واستباحته للمدن المنتفضة مستخدما أعتى الأسلحة وأشدّها فتكا بالبشر والحجر هي التي هيأت "بوادر" لظواهر من قبيل ما أشرنا وإن كانت ولمّا تزل حالات فردية تبتعد عن كونها قاعدة عامة مطلقة. على مدار عقود الاستبداد الشامل لم يتح لأجيال من الأطفال واليافعين في الوطن السوري إلّا إن يكونوا جزءا من مطحنة الدكتاتور الأب العاتية وهذياناته "التأليهية"، أما الآن فهم باتوا الفئة الأكثر تضررا من الناحية النفسية والاجتماعية جرّاء حرب الإبادة المفتوحة عليهم وعلى آبائهم وعائلاتهم ومناطق سكناهم، خاصة حين اضطرارهم بحكم الواقع المرّ إلى لعب دور الكبار وتحمّل أكلاف غيابهم القسري من تأمين لأساسيات الحياة بعمليات أشبه بالانتحارية بعد استهداف النظام لتلك الأماكن التي غالباً ما تعجّ بهم مثل أفران الخبز مثلاً. ورغم تفهّمنا العميق للأسباب التي جعلت "يافعا" حدثاً يمتشق السلاح ويرافق الثوار في زمن الموت المقيم في جميع أركان البلاد، إلا أننا علينا جميعاً أن نعمل على الحدّ من انتشار الظاهرة وتداعياتها المرعبة والتنويه إلى خطورة حالات كهذه وإن بدت ضئيلة وخاصة لدى هذا الجيل من صغار السن الذين سوف يحتفظون بذاكرتهم عن أوقات طوال من المعاناة، لم يكونوا يستحقّونها وأبناء البلد. هذه مسؤولية الثورة وكوادرها من عسكريين ومدنيين وبغض النظر عمّا تحدّث عنه المنظمات الدولية في عالم استمتع الفرجة على الدم السوري المهدور.

[1] (Hitler-Jugend)

[2] http://www. hrw. org/ar/news/201229/11/

[3] (frontal cortex)

[4] (amygdala)

نشرت في موقع الجمهورية لدراسات الثورة السورية

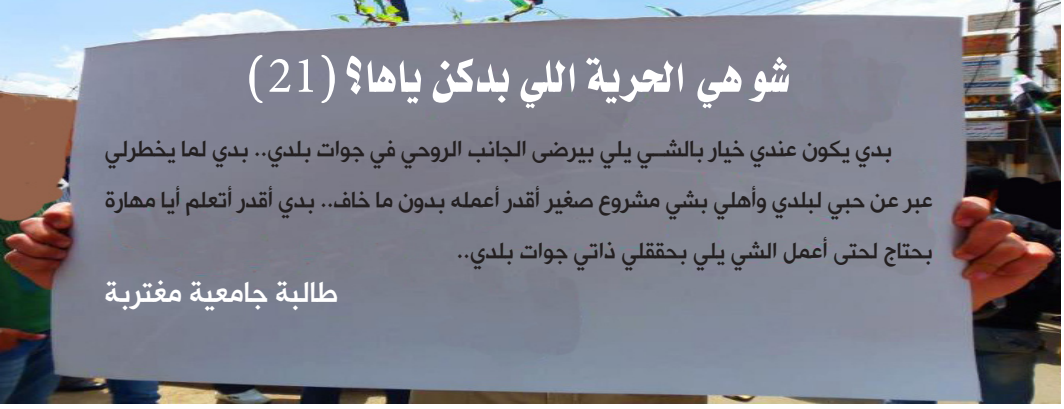

ياسين عبد اللطيف

لم تشهد حُقبة في التاريخ (أطفالاً) يخرجون على سلطة حاكم أو طاغية كما هي حال أطفال درعا الذين أشعلوا فتيل الثورة السورية؛ وقد حقّ الاعتراف بفضلهم على سورية وعلى الأمة!.

وسيم الجزايرلي

لو اللاجئين راحوا على إسرائيل بدل الأردن بتوقع إسرائيل ما رح تصل لدرجة أن طفل يموت عندها من البرد ممكن تخفف الأكل ممكن يصير في إهانة نفسية بس يموت طفل من (البرد) هي ما بتصير غير عنا العرب..

سارة الطويل

لو كل قذيفة عم تنزل على مسلح كانوا خلصوا، شو مشان هالتبذير هذا..

مصطفى الجرف

هذا الشعب الفقير المسلم الذي يحقق أصعب تحول ديمقراطي في التاريخ هو المعنى التام لقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس).

زينة الحلاق

أعترف أنني متطرفة ومصرة على هذا التطرف.. ضد كل من كان مع القاتل وشارك بصناعة الموت.. مهما كبرت وعظمت هالة القديسين فوق رأسه..

ريم جحا

أعلم تماماً؛ كما أخرجت سوريا بأسفها أناساً قتلة وبياعين كلام وشغل فقاعات.. أخرجت رجالاً حقيقيين كانوا ولازالوا يعملون لها ولأهلها ولا يحتاجون إضاءات.. لديهم الضوء ما يكفي.. يريدون بلدهم كما يريدها أيّ حرّ وثائر.. لأجلها فقط.. عاشت رجالات سوريا الذين يطحنون لها قمح الكرامة يوم غاب طحين الأنذال..

مصطفى حديد

السياسة الأمريكية تسكت عن المجازر اليومية المنهجية لتحذر من مجازر افتراضية... أليست عبقرية اليانكي مرعبة؟

ضحى حسن

أديش غريب الإحساس انو لما تكون ببلدك (بنص القصف ورغم كل شي عم يصير) بتضل قوي ما بتحس بالتعب غير للحظات، وما بتخاف.. هي الشوارع هي ذاكرتك وهي أنت.. برا البلد بتحس حالك ضعيف.. والمدينة عم تنهشك.. شهر وشوي كافيين لحتى خلوني اشعر بالتعب والإنهاك وحس حالي مثل الجثة الباردة.. جوا البلد المطر الو ريحة ولون بخليك تتنفس السما كلها ولو كانت طيارات المبغ والمروحيات مغطية السما.. برا البلد.. هو بس مطر.. بعبيك غيرة وطين وحنين لحتى تختنق..

نزار بلبوس

الفرنسيون قصفوا دمشق من قاسيون ولم يستطيعوا البقاء ورحلوا إلى بلادهم.. النظام السافل يتحضر لقصف دمشق ولكنه سيزول فلن يرحل إلى أي مكان فلا أحد يستقبل المجرمين..

لمى قنوت

صحيح لم يكن لدينا «ساحة تحرير» في ثورتنا لكننا لن نتركها في سوريا القادمة..

معد حسن

كيف لشعب فرض عليه البكاء على ابن الطاغية أن لا يثور.. كيف لشعب أممت أفراحه أن لا يثور.. كيف لشعب أجبر على الاحتفال بتشرين بعد أن كان قد قدس الربيع لآلاف السنين.. أن لا يثور..

وليد القوتلي

بشار يكمل مشروع حافظ، لقد دمر الأب الاقتصاد والسياسة والعلم والثقافة وباع الجولان ويكمل الابن بتدمير الحجر والبشر والشجر، هذه باختصار مهمة هذه العائلة التي غفلت عن شيء واحد وهو الغضب النبيل العارم الذي تراكم في الصدور والذي سيقتلع هذه العائلة من الجذور.

فدوى روحانا

مطر بحجم كل الدموع التي انهمرت على دمشق وليس باستطاعته أن يغسل دمعة واحدة منها..

مصطفى الجرف

كأحد أبناء الأقليات الدينية، ليس لديّ ما يقلقني أبدا من انتشار الأصولية الإسلامية المتشددة.. أفضّل أن تقلق الأغلبية السنيّة وحدها لهذا الأمر..

أحمد أبازيد

وحدهم السوريّون يتظاهرون لا متوقّعين الاعتقال أو الضرب أو الرصاص.. وإنّما متوقّعين القذائف في وسطهم!.. مظاهرة بستان القصر قبل قليل.. كانوا يتظاهرون عمّا قليل.. والآن بعد قذيفة أضحوا أشلاء.. كان الصوتُ عاليا.. والآن رغم كونه غيرَ مسموع صار أعلى.. وسيبقى أعلى.. سوف يبقى

فادي الأصيل

الدين = حالة اللادين!! فكلاهما معتقد يشغل حيزاً من الدماغ والتفكير.. وهما مقاربة محفوفة بمخاطر الانزلاق إلى التطرف.. فالدين أفيون الشعوب ليس إلا قولا تكفيريا يقوله صاحب فكرة اللادين.. ولا يختلف بحقيقته عن أي فكر تكفيري مغرق في التطرف.. ولابد من الإيمان بحرية الفكر والمعتقد مع التلازم التام بينه وبين حقيقة الإنسان والإنسانية وما يترتب على ذلك من حفظ حقوق الغير وتأدية الواجبات.. والغير تشمل البشر والأرض وما عليها..

رفيق الحلو

ألف بيان مثل بيان حلب اللي قرأه 30 زلمة ما راح يلغي من رأسي حقيقة انو الشعب السوري بأغلبيته الساحقة غير متطرف دينيا، والسني راح يقاوم التطرف قبل العلوي وقبل المسيحي.. أنا أثق بالشعب السوري، المطلوب نوفر له حقوق الاقتراع والتظاهر والتعبير.. والشعب عارف طريقه.. أحسن من أكبر منظر..

بكر صدقي

على فكرة: إذا قرروا تقسيم سوريا (بعيد الشر) الكرد والدروز والمسيحيين بيطلعلهم دويلات، لأنهم "أقليات" مختلفة.. أما العلويين والشيعة فهم مسلمون، وبيقعوا ضمن ولاية الدويلة الإسلامية هه.. والحاضر يعلم الغايب..

هالة العبد الله

في قرية صغيرة في الجنوب السوري صورت منذ سنين طويلة في كنيسة دافية وجميلة وتمارس طقوسها الدينية بشكل طبيعي وعادي ويعود عمر هذه الكنيسة إلى القرن الثاني الميلادي نعم الثاني.. لم يؤذها السكان ولم يعتبروا وجودها غريبا ولم يقم أي شخص بأي ممارسة عنفية ضدها.. الكنائس التي ضربت وفجرت في حماة في ال 82 كانت ضحية لإجرام النظام كما كنائس حمص اليوم.. الروس والفاتيكان يخافون على المسيحيين وكذلك بعض المسيحيين في البلاد.. إن العنف الوحيد الذي تم ممارسته حتى يومنا هذا على المسيحيين في سوريا هو بصفتهم مواطنين سوريين وفقط لا غير وتحديدا من قبل النظام المجرم..

ريم فضيل

مو عزيزي موظف الكهربا عم تطفيها ربع ساعة وبترجعها ربع ساعة شو منشان أنو ما عاد شي يشتغل بالبيت كلو احترق خلص خيووووو ماعاد بدي كهربا حل عن سمانا..

علي قطيفان

كل الأطراف تشهد عيونا تدمع حرقة على رحيل.. ليدركوا حجم مسؤولية ذواتهم نحو ضحايا آخرين.. مجبينه، الذين لم يضطر لتوجيه فوهة سلاحه نحوهم.. قتلهم بأن عقد العزم على أن يكون أحد الشخوص في مسرحية الموت.. ليس هناك ما يمكن أن يثبت هشاشة أنسجة القلوب إلا الحرب..!

حسام القطلبي

يغيظ المنحبكجي انشقاق المقدسي ولا يقلقه أن حلب تنوي من الحرمان. ليته يعلم أن جرّة غاز وربطة خبز في حلب الآن أثمن لدى الثورة من مقدسيه هذا.. قد يبرد غيظ قلبه عندها.

شرف كبير أن أتسلم جائزة الفدائي السينمائي باسل شحادة، باسل شحادة من شباب السينما السورية الذين هجروا امتيازاتهم والتزاماتهم ليلتحقوا بقيامة شعبهم..
لم يكن باسل يصور وينقل الحقيقة فقط بل كان معلما نشطا لكل شباب المناطق الساخنة الذين نذروا أرواحهم لفضح الدجل والتزوير..
جائزة باسل هي جائزة فادي زيدان ورامي ويدن وعروة وكثيرون من فدائيينا الأحرار الذين خاطروا ولازالوا يخاطرون بأرواحهم كرمى لحرية المعلومة والإنسان..
ولأول مرة يقترب مهرجان سينمائي من هموم شعبه بهذا العزم. فكان أن أطلق على مسابقته السينمائية «الشعب يريد» وأطلق اسما سنويا ودائما على جائزته باسم جائزة «باسل شحادة».. بوركت الأيادي البيضاء التي أسست هذا المهرجان..
من كلمة جفل الختام لمهرجان الكاميرا العربية -2 -12 2012!!
فارس الحلو

قد لا يعجب كلامي الكثيرين لكنه الواقع.. الكتائب الإسلامية على الأرض وجبهة النصرة كذلك تنتهج سياسة أخلاقية - قد تكون مدروسة وبذكاء- تدفع الناس للاطمئنان لهم وتقدير أفرادهم أكثر بكثير من باقي الكتائب التي لم تستطع حتى الآن ضبط بعض عناصرها غير المنضبطين ومحاسبتهم على أخطائهم. عناصر الكتائب الإسلامية لا يسرقون، يوزعون الغنائم بالتساوي، يقدمون دمهم على دم الآخرين.. كتائب الطليعة الإسلامية في بنش على سبيل المثال قاموا بإنشاء فرن من المبالغ المالية التي وصلتهم دعما للسلاح، اعتبروا أن الخبز ضرورة ملحة أكثر بما أنهم قادرين على اغتنام أسلحة من المعارك.. يوميا 1500 ربطة خبز توزع مجاناً و4000 ربطة بنصف الثمن.. غنائم المازوت من الإيكاردا أيضاً قاموا بتوزيعها على الأهالي والأفران والنشطاء.. ناشط ميوله علمانية أيضاً أعطوه برميل مازوت مثله مثل البقية.. لذا علينا قبل أن نستهجن هتافات بنش المطالبة بدولة الخلافة أن نقرأ المعطيات الواقعية جيداً.. أو على الأقل أن تنتهج المعارضة ذات السياسة الذكية في استقطاب الشارع..
ملاحظة: الشارع لا يشترى بالمساعدات أو بالخبز أو المال السياسي..
سيلفا كورية

أكتر شي بحب بالولاد.. إيديون.. أصابيعن المدعبلة والزهرية.. دقات الغمازات عليها.. استدارتها.. صغرها.. راحات إيدين لما تعرق.. وريحة الحليب اللي فاحة منها.. لما بفتحها.. بأشد الصور بشاعة.. لأطفالنا المقتولين.. أول شي بطلع عليه إيدين.. غالبا بتضل بخير.. لأنو بضلو مسكرينها.. بفتحها أنا وبغنيلن: باح ياباح ياعرق التفاح.. هون كان في طفل صغير.. إجا الأسد قتلو وراح..
إيمان جانسيز

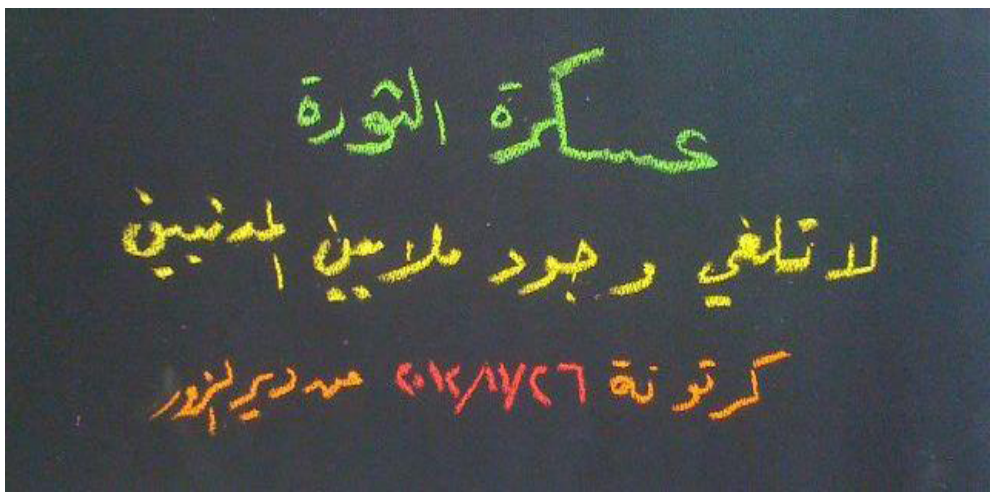

عربين مدينة لم تعرف السلام

■ بلال سلامة

عربين جغرافياً:

تقع مدينة عربين شمال شرق دمشق على مسافة 7 كيلومترات من مركزها، بين حمورية شرقاً وزملكا غرباً وحرستا شمالاً وحزة جنوباً. أما عن تسميتها فيقول ابن طولون الصالحي في كتابه ضرب الحوطة على جميع الغوطة «عربيل ويلفظ بالنون خطأ» وهو لفظ غير عربي مكون من جزئين ويعني بالآرامية عرب آلهة الشمس. أما في السريالية فمعناها الغربال، ومن الأسماء التي أطلقت عليها اسم (ذات القرنفل).

تبلغ مساحة عربين 620 هكتار وهي أرض منبسطة تنخفض كلما اتجهنا نحو الجنوب الشرقي.

عربين عبر التاريخ:

عثر في مدينة عربين على مقابر قديمة جداً مغطاة بأحجار بازلتية سوداء تعود إلى العصر الروماني. وفي عهد الفتوحات الإسلامية دخلتها جيوش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد، وبقيت المدينة لأهلها يعملون فيها مقابل خراج محدد. وتأثرت المدينة خلال فترة حكم الأمويين بالخلافات السائدة بين قبائل اليمنيين والقيسيين، ولم يكن حظ المدينة من الدمار والخراب أفضل خلال فترة حكم العباسيين. وفي فترة الاحتلال العثماني لسوريا عانت عربين الأمرّين من الولاة العثمانيين، حيث كان جنودهم يعسكرون في دمشق وريفها وكان على أهالي المنطقة إطعامهم، وعند رحيلهم كان لا بد أن يدفع الأهالي (الترحيلة) وهو مال يأخذونه منهم بالقوة. ففي عام 1041هـ مثلاً نهب جنود الاحتلال قرى دمشق وعلى رأسها عربين وأحرقوا البيوت والأراضي بعد نهبها وقتل دوابها.

كما عانت هذه المدينة من الطاعون في عام 467هـ، وعانت من مجاعة عام 1860م وحرب السفربرلك عام 1916م، وكذلك عانت المدينة من الزلازل وكان أشدها زلزال عام 1173هـ. وفي أواخر الحكم العثماني تبلورت عربين بموقعها الحالي بعد ضم القرى المجاورة تحت اسم عربيل.

عربين خلال الثورة العربية الكبرى:

وخلال الاستعمار الفرنسي لسوريا وعند قيام الثورة السورية الكبرى شارك رجال عربين في الثورة بمالهم ورجالهم، واضطر الكثير من أهلها إلى النزوح إلى دمشق ودوما، ولم تسلم المدينة من الدمار حيث قصفت طائرات الاستعمار ودباباته السوق الرئيسي والجامع وأحرقت المدينة.

يقول سعيد العاص عن مشاركة عربين في الثورة العربية الكبرى «إن عربيل كانت محطة عامة للثوار ومستودعا ثمينا لتأمين معيشتهم، ومعظم المعارك دارت رحاها بجوارها، وقد مني بخسائر فادحة وأصيبت بقنابل الطائرات والمدافع وتهدم قسم كبير من جامعها وسوقها».

وفي تاريخ 10 حزيران 1926 خلال الثورة العربية الكبرى جرت معركة عربيل والتي وقعت بأرض (بستان الحمام) شمال غرب المدينة عندما خرجت حملة من الشراكس إلى الغوطة بقصد تعقب المجاهدين الذين أطلقت عليهم اسم (عصابة الأشقياء). قاد هذه المعركة فوزي القاوقجي واشترك فيها سعيد العاص وثوار من دوما وحرستا ودمر، كما شارك فيها أبو مصطفى الرنكوسي وغيرهم من ثوار الغوطة. أما عن مجريات المعركة فقد اتجه المجاهدون نحو عربيل، والتقوا في بستان الحمام بالحملة وهزموها ثم لحقوا بها حتى الطريق العام، ولكن جابهتهم هناك الحملة المرابطة بدباباتها وأنقذت جنودها وبدأت بإطلاق القذائف على المجاهدين. استمر إطلاق النار بين الطرفين حتى آخر النهار عندما عاد المجاهدون إلى مراكزهم لتجهيز أنفسهم بالعتاد، وارتدّت الحملة إلى دمشق.

ومن المجاهدين المعروفين في عربيل الشهيد اسماعيل المبخر استشهد في معركة صيدنايا بتاريخ 17 تموز 1926م. والمجاهد حريص المرجي من مواليد 1903، الذي اشترك في معركة الزور الأولى ولما انتهت الثورة عاد مع الحمة الأخيرة إلى جبل الدروز ومنها إلى عمّان ثم رجع إلى عربيل، فدمر الفرنسيون بيته ونهبوه وقتلوا شقيقته. والمجاهد عبد الحميد كوكة مواليد 1904 في عربيل والذي شارك في الثورة السورية في معركة كفر بطنا ومرج السلطان وشارك في معركة عين منين، وشارك في حرب 1948 ضمن جيش الانقاذ، وتوفي في 1970. والشيخ علي النجار، ومحمد الرنكوسي أبو مصطفى، والشيخ مصطفى الحشاش، وغيرهم. أما الشهيدات النساء فمنهن: فاطمة خالد صفصف، فاطمة صالح صفصف، خديجة ابراهيم صفصف، مريم عبد المحسن المرجي، أمينة حسن القالش، عائشة ابراهيم طبانة، ودرية القالش وجميعهن استشهدن بغارة جوية على عربيل عام 1926م.

معالم عربين القديمة:

أما عن معالم مدينة عربين القديمة فاشتهرت المدينة بحماميها الكبير ويقع قرب المسجد والآخر أصغر ويقع شرقها، وكانت مياه الحمام الكبير تؤخذ من المسجد لأن قسم من ريعه يعود إليه، أما الحمام الصغير فكانت مياهه من بئر قريب إليه وتسحب بواسطة ناعورة. ويتألف الحمام من فسحة مسقوفة في وسطها بحيرة ماء بنافورة، ويمتد من هذه الغرفة دهليز يوصل إلى غرفة تسمى الوسطاني، وفيها باب يؤدي إلى الجواني وهي غرفة الاغتسال وفيها الأجران المنحوتة من الحجر والموزعة قرب الجدران. ويلاصق هذه الغرفة خزانة الماء حيث يسخن ويوزع إلى الأجران بواسطة أنابيب خشبية.

وتعرف المدينة بجامعها الكبير، وهو بناء واسع يتميز بحرمه المستطيل الذي يبلغ طوله 22 متر وعرضه 15 متر وأمام المدخل الرئيسي لصحن الجامع تقع المئذنة الدائرية التي يبلغ علوها 35 متراً ومكتوب عليها (تم بناء هذه المنارة بمساعي الشيخ عبده قويدر سنة 1360هـ)، وللجامع منبر مصنوع من خشب الكريش ومحراب من الأحجار الكلسية والرخام ويعود للعام 1346هـ، وسقف الجامع مزين بالنقوش الجميلة وجدرانه الخارجية مكسوة بالأحجار الجميلة.

كما توجد قرب الجامع الكبير كنيسة مكسوة بالحجر مبنية عام 1873م، ويطلق عليها كنيسة القديس جاروجيوس للروم الأرثوذوكس.

ومن معالم المدينة القديمة بناء البلدية المبني عام 1932م عندما كان مدير الناحية مأمون مؤيد العظم والواقع قرب ساحة المدينة الرئيسية ويتألف من طابقين، ويحيط به حديقة كبيرة، لم يبقَ منها اليوم سوى بضعة شجيرات وحولت الحديقة إلى مشروع بناء مجمع جديد للدوائر المختلفة.

كان يعبر المدينة خط الترام الذي يصل حتى دوما ويصلها مع دمشق، وكان الترام يمر بين البساتين والحقول وقد تم توقيفه وتفكيكه في أوائل الستينيات.

عربين والثورة:

دخلت عربين على خط الثورة في وقت مبكر نسبياً، وبالتحديد يوم 8 نيسان 2011 فيما سمي آنئذ «جمعة الصمود»، وقد برز من أبنائها الشهيد أيمن الشريف الذي يعتبره أهل عربين «ملهم الثورة» في المدينة. وقد كان الشريف يعمل في ساحل العاج فترك عمله مع بدايات الثورة وعاد إلى مدينته وصار جزءاً لا يتجزأ من المظاهرات التي أضحت واجباً شبه يومي يخرج فيه عشرات الآلاف للهتاف بإسقاط الطغيان ونصرة المدن المنكوبة. وفي 6 آب 2011 قامت قوات الأمن باغتياله حيث خرج في تشييعه عشرات الآلاف من عربين وباقي المدن والبلدات القريبة.

غير أن المدينة شهدت أعنف هجوم ابتداء من الشهر ذاته عندما حاصرت الدبابات مدينتي عربين وزملكا ومنعت الخروج منهما أو الدخول إليهما مع قطع كامل للاتصالات. واستمرت المضايقات والاعتقالات التعسفية متزامناً مع قصف المدينة وتدمير منازل السكان ومن ثم نهبها. وقد استشهد المئات من أهلها ونزح منها الآلاف هرباً بأرواحهم من آلة القتل التي لا ترحم ولا تفهم.

أما عن المجازر الجماعية في عربين فهي كثيرة ومنها: 14 شهيد في 19 تموز 2012، 10 شهداء في 20 تموز 2012، 18 شهيد في 5 آب 2012، 11 شهيد في 29 آب 2012، 20 شهيد بتاريخ 2 أيلول 2012، 15 شهيد في 3 أيلول 2012، 14 شهيد في 20 تشرين الأول 2012، 12 شهيد في 27 تشرين الأول 2012. ويبلغ عدد شهداء المدينة حتى تاريخ 3 كانون الأول 2012 حسب إحصاءات قاعدة بيانات شهداء الثورة السورية 330 شهيداً.

أول مجلس بلدي في عربين 1936

الحمام القديم

عمل للفنان وسام الجزايرلي

أنا زوجة الشهيد

■ سُرى علّوش

أنا زوجة الشهيد. لا أشعر بالفخر، ولا أرفع رأسي عالياً بين أصدقائه، ولا أقبل عزاء الناس به، ولا أقول لأطفالي كم من الرائع أن صعد إلى السماء على درج من الورد الأحمر، وإنه مازال ينظر نحونا من هناك. لن أصدق شيئاً عن البطولة في الحرب، ولن أقنعهم بذلك كي يكفوا عن البكاء وينسوا. أنا زوجة الشهيد التي مزقها الوطن، وأغلق باب بيتها عليها وتركها وحيدة. أكره الحرب. لا تعنيني انتصاراتكم وهزائمكم، ولا أصدق خرافة المنافي والأعداء. لا تكذبوا عليّ بعد الآن، أنا البنت التي جعلتم منها أرملة بموافقة الله لتتوجوا آخَرها بطلاً بأوهامكم وترفعوه إلى السماء دون أن يقول لها شيئاً أو يطلب الغفران منها بدلاً من أن يطلبه من غيرها.

كنت أحبه قبل الآن؛ قبل أن يفضل الجنة عليّ، و يعرف أنني قد أمضي أعواماً طويلة دون أن أستطيع فهم غيابه أو تفسيره، أو أتصالح مع الحياة دونه؛ ورغم ذلك ذهب. أنا زوجة الشهيد وإثمه الأزلي. لا يصلح ندمه ما أفسده الألم، ولا يضمد موتُ القاتل قلباً لن ينام أبداً. لم يحبني يوماً كفاية كي يكتفي بي، أو كي لا يرسل قلبه إلى الحرب ويلحق به. لم يقايض بي شيئاً، فأنا لم أعن له أكثر من امرأة وضعها في بيته ليصبح أباً ويتباهى بمجده العاطفي.

أنا أم أطفاله الذين أحب نفسه أكثر منهم، فغادرهم يتامى مكلومين ومضى إلى حتفه المحتمل ليصبح واحداً من أحباب الله. لم يجيئوا به إليّ لأقبّله مرة أخيرة، أو لأسكب الماء فوق قبره وأتلمس اسمه المحفور سكيناً في الخاصرة؛ فأنا مجرد امرأة قضت عمرها بانتظاره، وقدر النساء أن يأتين القبور بعد مضي الرجال. دفنوه تحت أحذيتهم واستداروا عائدين. لم يغنوا له كي لا تأكله الوحشة، ولم يفركوا ترابه الجاف بدموعهم ليصبح أكثر راحة فوق جسده. مضوا يصرخون بأسماء الله الحسنى ويحسدون الشهيد. زغردن لي أيتها النساء الباليات، وتعلمن كيف ترتق امرأة حكايتها في حضرة الموت، وكيف تغلق جرحها وتهزأ منكن ومن رجالكن العائدين للتو بنعوة حبيبها، فلكل منكن موت منتظر سيفضح إيمانها، ولكل منهم بيت يحلم به في الجنة سيخرج لأجله ولن يعود.

لن أفكر به من الآن وصاعداً، ولن أتمنى لو أنه لم يمت. لن أرتدي الأسود لحداد أبدي؛ فالوطن الذي قضى من أجله بلون داكن كان يعرف كل الألوان الفاتحة، ويحبها أيضاً، والأطفال الذين يتّمهم ليصبحوا رجالاً مازالوا يشترون الحلوى الوردية ويحلمون بالصيف ويرسمون الأشجار خضراء والشمس ذهبية والبحر أزرق على دفاتر الرسم، والمرأة التي يريد لها كل من يعرفه أن تهرم تحت قداسة اسمه ووطأة ذكراه مازالت صبية لا تفهم الفراق ولا تنظر في أسبابه السماوية.

كان باهتاً كأغلبكم، ومحارباً على جبهة واحدة. أتذرع بالحب ويتذرع بالمشيئة. أكتب عنه ويكتب عن الجبال وعن الإله الواحد وعن رفاق السلاح. أحدثه عن الذكريات التي بيننا فينشغل بحقيبته الوحيدة التي يحزمها للرحيل ويغلقها بالنسيان. أصنع له قوس قزح بثيابي فيحدثني عن الطغاة والمعتقلات. أفرد له روحي المنكوبة به وبمن مثله، فيفرد لي صور الأصدقاء الذين انقطع عنهم منذ انقطع عن الوطن.

لا تحدثوني عن العفة والصبر والإيمان. لا تفقؤوا عينيّ بترهاتكم ولا تتهمونني بالكفر. أنا زوجة الشهيد وفكرته الخاطئة عن الحياة الدنيا. لم أكن يوماً سجاناً أو محققاً، ولم أنتسب لحزب أو تنظيم أو جماعة، ولم أردد شعارات الوحدة والحرية والاشتراكية. لم أرفع علماً ولم أكتب قدراً. لا أفهم نشرة الأخبار ولا أصدقها. لم أسرق ولم أقتل ولم أكذب إلا على والديّ. لم أخن ولم أصفق ولم أحن رأسي ولم أقف في صف أحد دون غيره؛ فلماذا سن سيفه في وجهي وقتل روحي انتقاماً من عذابات الأرض وعار أهلها؟

أنا أرملة الشهيد وحظه العاثر. لم أعد أؤمن بالحب ولا أنتظر الرحمة، وطني ضحكة طفل من أطفالي قتلتها عتمة القبور، وصرخة طفل لا أعرفه تمسك يدي الجلاد وتشق الجدران ليسمعها الرجال مثلكم ويصفقوا له. وطني قطعة خبز يلهث وراءها جار أخوتي ليرجع بها إلى البيت وحجر صغير يلقي عليه رأسه طفل مشرد حزين. أنا رفيقة الشهيد الأعزل من وهج الحياة، وصخب جنونه الأبدي على أرصفة الشحاذين، والطرقات المسدودة في وجه الحب. أنا من أحمل رسالته من بعده ولذا سأقول لأولادي: لعنة الله على بلاد تنجب خيبات العشاق ولا تنجب أحلامهم. لعنة الله على بلاد يخشى الصغار فيها أمهاتهم ولا يخشون الرصاص. لعنة الله على بلاد تربي أبطالها لتأكلهم. لعنة الله على بلاد تزف الموتى بالزغاريد ولا تبكي عليهم. لعنة الله على بلاد يحكم الثأر قلبها وتمنح جسدها لمن يدفع ثمنه. لعنة الله على بلاد نمهر تفاصيل مدنها بقصائدنا وتتزوج اللصوص. بلغوا عني وصيتي قلبي الذي عطبه الوطن معلق على حبال الغسيل مع قمصان الشهداء مسحوق تحت أحذية العسكر

مجروح برماح الفرس والعرب غارق بالخطايا التي ليس من شأن أحدكم أن يغفرها جالس على عتبات البيوت عالق في أسلاك الحصار الشائكة مبتور كساق وحيدة تحت الأنقاض من رآه منكم فليصوب بندقيته نحوي وليقتلني قبله..

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (42285)

دمشق: 2448
ريف دمشق: 8238
حمص: 7797
درعا: 3709
إدلب: 5511
حلب: 5025
دير الزور: 2928
الرقة: 294
السويداء: 123
حماة: 3482
اللاذقية: 1173
طرطوس: 349
الحسكة: 306
القنيطرة: 161

2726 عدد الأطفال الذكور
1155 عدد الأطفال الإناث
2540 عدد الإناث
6001 عدد العسكريين
32261 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 7 / 12 / 2012
http://vdc-sy.org

١ لجنة الوعي الشعبي

الهدف

تحضير محتوى توعوي يحاكي عقول الناس في منطقتهم ونشره عن طريق توزيع مناشير والبخ وكتابة مواضيع تخص السلم الاهلي في جريدة أسبوعية مثلاً ويمكن المساهمة في فعاليات ونشاطات ميدانية مؤثرة على الشارع المسرحيات الميدانية.

إرشادات العمل

١. تتوزع مهام الاعضاء كمايلي :

إعداد المحتوى التوعوي كمادة

القيام بالنشاط الميداني المرتبط بالمحتوى التوعوي كالبخ والمسرحيات

٢. التعاون مع لجنة الحوار لإمدادها بالمواد التوعوية وبالعكس تستفيد من لجنة الحوار لمعرفة طريقة تفكير السكان بعد الحوار معهم مما يفيد في إعداد المحتوى

٢ لجنة الحوار الشعبي

الهدف

العمل على عقد لقاءات وجلسات يتم خلالها نقاش قضايا السلم الأهلي حسب الواقع الذي تعيشه المنطقة بغرض تهدئة النفوس والابتعاد عن التحريض بشتى أشكاله منها الدعوات للانتقام والمحاسبة الفورية.

يندرج ضمن هذه اللجنة ما يدعى " لجان الحوار خارج سوريا " حيث من الممكن أن يساهم المغتربون في التأثير إعلامياً بزيادة أو تهدئة الاحتقان الطائفي.

إرشادات العمل

١. يجب أن يتمتع الأعضاء بالقدرة على المحاورة وهدوء الاعصاب

٢. تتكون من وجهاء لهم سيرة حسنة وتأثير فعال في مناطقهم، وجمعيات شبابية تطوعية ولا يمكن إغفال أهمية دور المرأة في مثل هده الحوارات

٣. في حال كان الحتقان الطائفي شديداً والوجهاء من ضمن الداعين للاقتتال الطائفي فيفضل عقد حلسات منفصلة معهم قبل البدء بالجلسات العامة.

٤. ترتبط اللجنة بلجنة الوعي حيث تغذيها بنتائج الحوارات وتجربتها بالحوار للاستفادة في انتاج المحتوى التوعوي والعكس فلجنة الحوار تمد اللجنة بالمحتوى الذي يمكن استخدامه في الحوارات

٣ لجنة حماية دور العبادة

الهدف

حماية دور العبادة أو أية أماكن حساسة تمس بصلة شديدة بمعتقدات فئة ما من محاولات التخريب أياً كان مصدرها وهدفها حتى لا تثار الفتن، وبالتأكيد سيتم التعاون مع لجان الحماية الأمنية في تلك المنطقة.

إرشادات العمل

١. أعضاء اللجنة من الشباب ذوي البنية الجسدية الجيدة بالإضافة إلى القدرة على الحديث والحكمة في
التعامل، ويجب وجود شخص كبير بالسن واحد على الأقل ليتدخل بالحديث ويكون له أثر نفسي مخجل
٢. تسعى اللجنة إلى عدم الاشتباك قدر الإمكان، ويتناوب الأعضاء الحماية فترات النهار والليل
٣. تتعاون اللجنة مع اللجان المحلية التي تتولى حفظ الأمن في حال كان لا بد من استخدام السلاح ضد الهجوم من قبل الشبيحة أو أي عناصر مخربة أخرى
٤. لا يحمل أعضاء اللجان السلاح الناري ولا الأبيض لكن يمكن إمدادهم بالعصي

4 اللجنة الإعلامية

الهدف

تقصي الحقائق والوقائع حول السلم الأهلي في المنطقة وجمع قصصه الإيجابية والسلبية منها ثم إخراجها بشكل إعلامي بطرق من شأنها التأثير على الشارع لتسريع وتيرة السلم الأهلي وتحويل السلبي منها إلى لجان الحوار والوعي لدراستها ووضع سبل لحلها.
التأكد من صحة الأخبار المعروضة عن منطقتهم في وسائل الإعلام الأخرى سواء المحلية أو صفحات الفيس بوك أو غيرها والتدخل لضحد الإشاعات وتخفيف وتيرة الأثر السلبي للصحيح منها.

إرشادات العمل

١. يتمتع أعضاء اللجنة بمهارات مختلفة في المجال الإعلامي:
- استخدام برامج الملتيميديا
- القدرة على التحرير الصحفي وإجراء المقابلات الصحفية
- المهارة في التصوير الثابت والمتحرك

٢. التواصل مع وسائل الإعلام المختلفة (قنوات فضائية / انترنت / إذاعة) وإنشاء موقع أو صفحة خاصة لتكون واجهة إعلامية للسلم الأهلي
٣. ترتبط اللجنة بشكل مباشر مع لجنة الوعي الشعبي للمساعدة في النشر
٤. ترتبط أيضاً بلجنة الحوار لتغطية الجلسات الخاصة بها